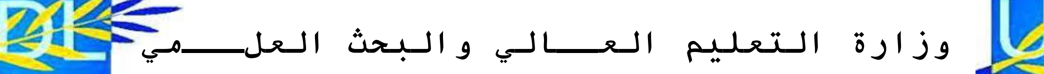


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي اليابس - سيدي بلعباس -

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

شعبة التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

الموسومة بـ:

الأمراض والأوبئة بدول المغرب الإسلامي (160-962ه/761-1554م) دراسة ميدانية

تحت إشراف الدكتور:

شخوم سعدي

من إعداد الطالب:

بومفتاح محمد أمير

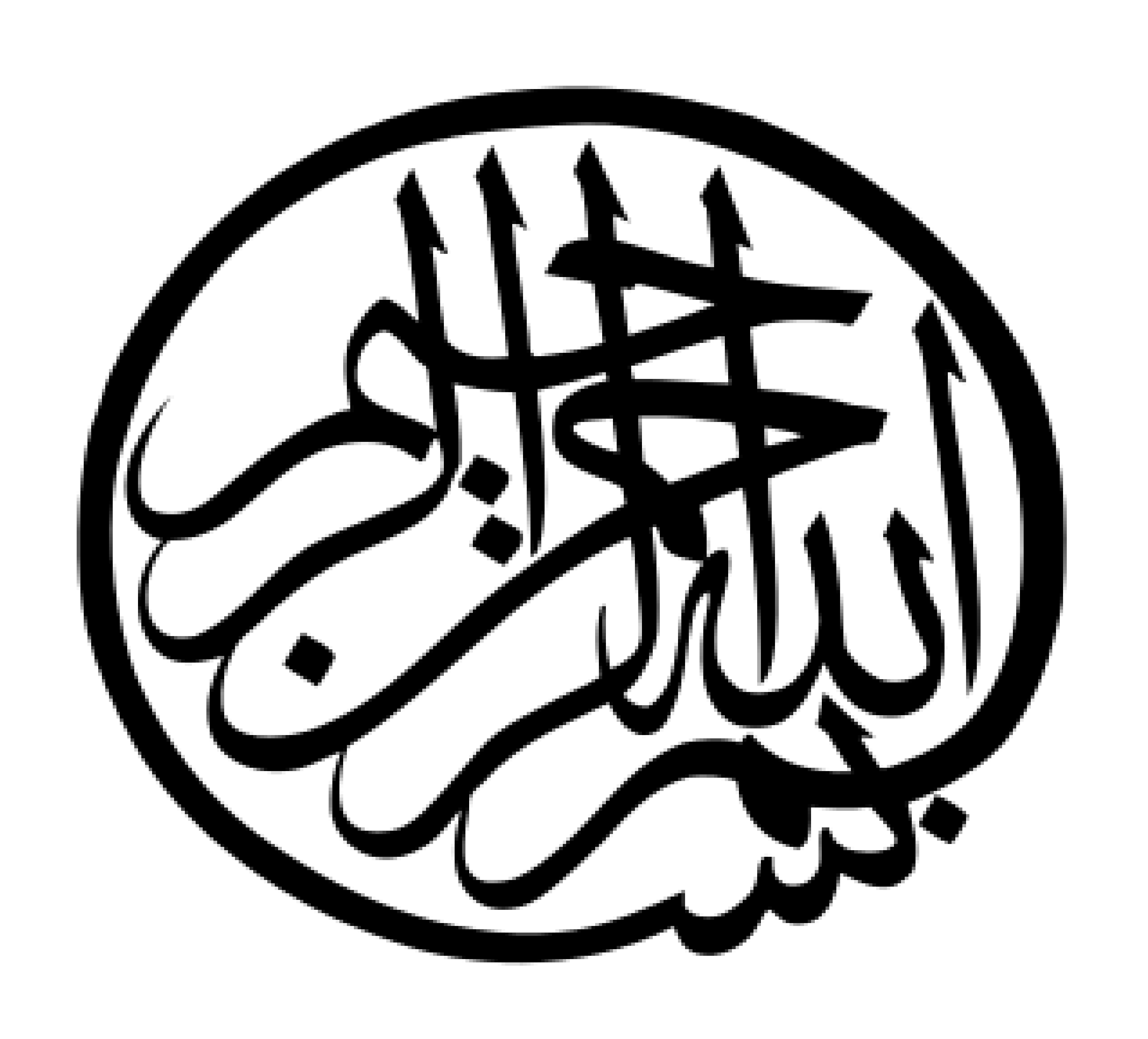
أعضاء لجنة المناقشة:

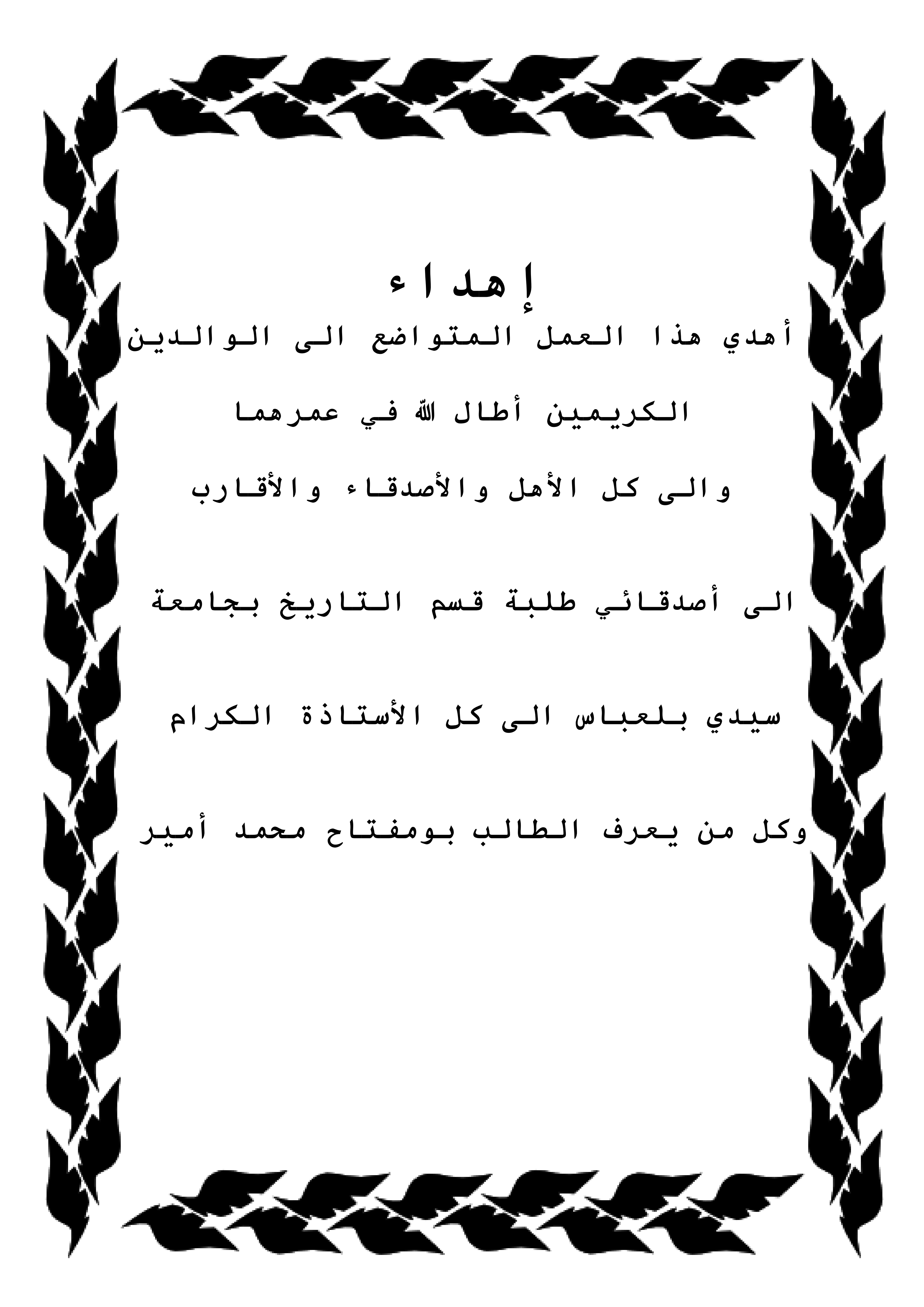
الأستاذ..............................رئيساً

الأستاذ.........................مشرفاً ومقرراً

الأستاذ..............................مناقشاً

السنة الجامعية: 1442-1443ه/2021-2022م


بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع الى الوالدين

الكريمين أطال الله في عمرهما

والى كل الأهل والأصدقاء والأقارب

الى أصدقائي طلبة قسم التاريخ بجامعة

سيدي بلعباس الى كل الأستاذة الكرام

وكل من يعرف الطالب بومفتاح محمد أمير

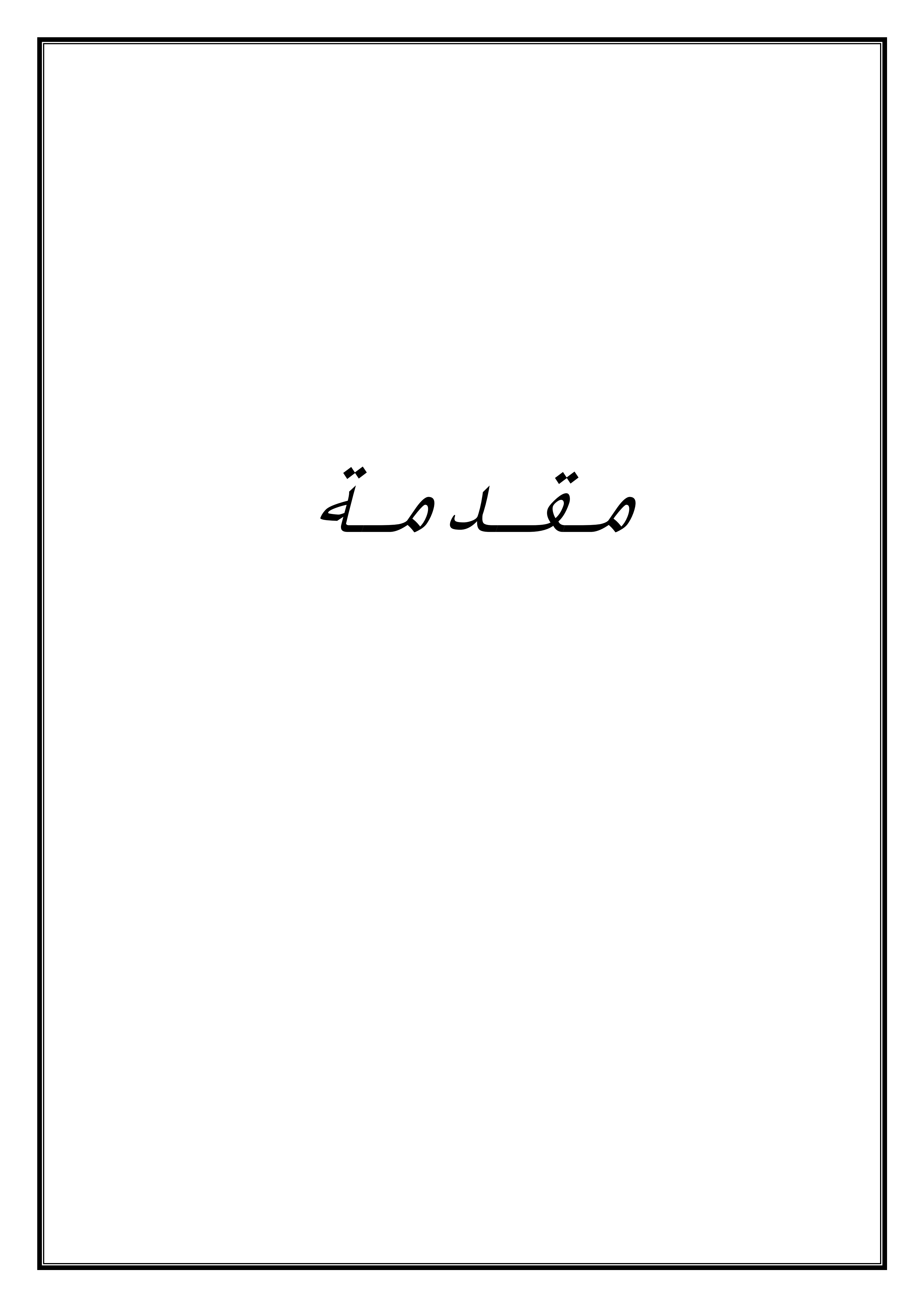


شكر وعرفان

أحمد الله عز وجل على عونه وإتمام نعمه علينا وأتقدم بالشكر الجزيل الى الأستاذ المشرف الدكتور شخوم الذي تعهدني بالرعاية الدائمة وتحمل معي عناء هذا العمل،كما أشكر الأساتذة على قبولهم مناقشة هذا العمل وكل التحية والتقدير إلى أساتذة التاريخ بالجامعة وكل من ساهم في إخراج هذا العمل الى الواقع الملموس

قائمة المختصرات

الرمز	الشرح
ط	الطبعة
ج	الجزء
ص	الصفحة
م	ميلادي
(د.م)	دون مكان
(د.ت)	دون تاريخ
(...)	كلام مبتور
ق.م	قبل الميلاد
هـ	هجري



مقـــدمــة

مقدمة:

عرفت الأوبئة والأمراض منذ قدم حياة الانسان فقد كان لها تأثير على نمط حياته عبر عدة عصور تاريخية، ففي العصر الوسيط شهد المغرب الإسلامي بجميع أقطاره موجة من هذه الأزمات والأمراض ترتبت عنها عدة آثار على مختلف جوانب الحياة فموضوه الأوبئة والأمراض يندرج تحت ما يسمى بالتاريخ للأزمة وهو نمط ظهر مع التطور الحاصل الذي شهدته الكتابة التاريخية ولذا فإن أهمية دراسة موضوع الأوبئة والأمراض في المغرب الإسلامي تكمن في إزالة الغموض عن مراحل تاريخية صعبة عاشها عامة المغرب الإسلامي إبان تعرضه لمثل هذه الجوائح والأزمات والتي من دون شك كان لها تأثير سلبي على كافة المستويات

كان من جملة أهداف الدراسة هو إشباع الفضول والميولات الشخصية، ضف إلى ذلك التعرف على مختلف الأمراض والأوبئة التي عصفت بدول المغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة وكذا التعرف على مختلف التدابير الوقائية التي إتخذها العامة في هذا المجال.

كانت هناك عدة أسباب دفعتنا لإختيار هذا الموضوع من ضمنها إثراء النقاش التاريخي فيما يخص موضوع الدراسة خصوصاً وأنما مثل هذه المواضيع تعتبر من المواضيع الاجتماعية التي قلما تحضى بدراسة تاريخية وافية .

وعن إشكالية الموضوع فهناك عدة تساؤلات تتبارد الى الذهن كونه يعد من المواضيع الحساسة التي كان لها تأثير مباشر على الحياة الاجتماعية والإقتصادية وحتى الدينينة منها على أفراد المجتمع

المغربي،فما هي أبرز الأمراض والأوبئة التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي؟،وكيف أثرت هذه الأمراض

على الأوضاع السائدة أنذاك؟ وما هي التدابير والحلول التي إنتهجها سكان المغرب للتصدي لهذه الأزمات؟

وقد إعتمدنا في هذه الدراسة لموضوع الأمراض والأوبئة بدول المغرب الإسلامي على المنهج التاريخي الوصفي في وصف أحوال العامة بالمغرب وغيرها، غير أن هذا لا ينفي وجود بعض العقبات والصعوبات التي واجهتنا في الدراسة نذكر منها صعوبة ربط الأحداث التاريخية للأوبئة خلال الفترة المدروسة خصوصا وأن الأمراض والأوبئة التي ظهرت في بلاد المغرب ظهرت على فترات متباعدة نوعاً ما ،ضف الى ذلك قلة المادة التاريخية التي تؤرخ للأزمة والتي ربما لم تسمح الأوضاع للمؤرخين آنذاك للكتابة عن الأوضاع.

إعتمدنا في إنجاز هذه الدراسة الاجتماعية على جملة من المادة التاريخية نذكر منها:

كتاب **وصف افريقيا** للحسن الوزان الفاسي(456هـ/1549م)، هذا المصدر قدم لنا وصفا دقيقا لما كان يعيشه العامة من أوضاع كما أنه أعطانا صفات أهل البلاد إبان الأزمات وكذلك امدنا بمعلومات وتوقعات حول فترات وقوع الوباء ببلاد المغرب

مقدمة:

عنوان **الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** لأبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني أفادنا هذا المصدر بمعلومات جد قيمة فيما يتعلق بخصوص الوضع الوبائي أنذاك ورأي العلماء والصلحاء في ذلك.

كتاب **المقدمة** لابن خلدون عبد الرحمن هذا المصدر الغني عن التعريف أعطى لنا معلومات عن الأثار السليبة للأمراض خصوصا تأثيراتها على الجوانب الحضارية والعمرانية منهابالإضافة الى جملة من المراجع كان أبرزها :

مذكرة رسالة ماجيستير بعنوان **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588–927هـ/1192–1520م)** للطالبة سمية مزدور هذا المرجع قدم لنا ملخصات وجداول لأهم الأمراض التي كانت متواجدة خلال الفترة المدروسة .

مذكرة **الأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي مابين القرنين (5–7هـ/11–13م)** للطالب صديقي محمد،أفادنا هذا المرجع في إكتشاف أهم الطرق العلاجية التي كان العامة من المغاربة على دراية بها وإستخدموها في فترة الامراض

مقال **النظرة الى المرض في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن(5–10هـ/11–16م)** قدم لنا هذا الأخير معلومات عن أكثر الأمراض إنتشارا في منطقة المغرب .

كان لزاماً علينا عند أنجاز هذه الدراسة أن نقسم موضوع البحث الى مقدمة وفصلين وخاتمة بالإضافة غالى بعض الملاحق.تطرقنا في الفصل الأول إلى الحديث عن كرونولوجيا الأوبئة والأمراض

مقدمة:

بدول المغرب من خلال مبحثين أولهما التسلسل الزمني لأهم الجوائح والامراض في الفترة المدروسة من خلال سرد لأهم تلك الأمراض أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى أهم أسباب انتشار هذه الأمراض وأماكن إنتشارها.

في الفصل الثاني تحدثنا عن التدابير والمواقف التي تميز بها أهل المغرب للتصدي لهكذا ظروف من خلال كمبحث أول ثم التدابير التي إتخذها العامة لمواجهة الأمراض. وتاثير الأمراض على الجوانب الحضارية

الفصل الأول:

كرونولوجيا الأوبئة والأمراض ببلاد المغرب الإسلامي وأماكن الانتشار

المبحث الأول المرض والوباء الدلالة والمفهوم :

إن الخلط بين مفهوم الوباء والطاعون لم يكن عند اللغويين فقط كما رأينا وإنما كان عند بعض الإخباريين أيضا،فالمصادر التاريخية استعملت مصطلح الوباء والطاعون دون أن تفرق بينهما ،مما يصعب علينا معرفة نوع المرض الوبائي لأي فترة زمنية يحدث فيها،في حين كان مفهوم الوباء والمرض في الإصطلاح العلمي أشمل وأعم من مرض الطاعون،ويشتمل الوباء أمراضا عديدة من بينها الطاعون الذي يعرف بأنه نوع من الأمراض التي تحدث في الزمن الوبائي، وهو مرض بكتيري حاد مشترك بين الإنسان والحيوان أيضا وهناك من عرفه بأنه مادة سمية تحدث ورما قاتلا[1]

لقد أصاب الفقهاء الأجلاء في التمييز بين كلمتي الوباء والطاعون،قال الإمام النووي في شر حمسلم:وأما الوباء هو الطاعون وقال كل مرض عام والصحيح الذي قاله المحققون:أنه مرض الكثير من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات،ويكون مخالفاً للمعتاد من أمراض في الكثرة وغيرها...ويكون مرضهم نوعاً واحداً بخلاف سائر الأوقات،فإن أمراضهم مختلفة قالوا وكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعوناً [2] وهذا ما ذكره ابن الجوزية بقوله أن كل طاعون وباء وليس كل وباء طاعوناً وكذلك الأمراض العامة:أعم من الطاعون فإنه واحد منها والطواعين خرجات وقروح، وأورام رديئة وهي أثار الطاعون[3]

1داوود عمر الأنطاكي بغية المحتاج في المجرب من العلاج، دار الفكر للطباعة النشر التوزيع،1995م، ص 335

2محمود الحاج قاسم محمد،البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي،دارماشكي للطباعة والنشر والتوزيع،العراق،ص2020

3ابرقيم الجوزية الطب النبوي،تج،عبد الغني عبد الخالق،دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع،بيروت ،ص30

لطالما كانت الجوائح والأمراض من الأفات المألوفة خلال الفترة الوسيطية ونظرا لما كان يترتب عنها من مشاكل حضارية فإن الفقهاء حاولو أن يصوغو لها تعريفا مدقاً ومضبوطاً يساعد على حل تلك المشاكل من جهة ويمنع من جهة أخرى استغلال العموض المحيط بها للتهرب من الوفاء بعدد من الإلتزامات[1]،ويعرف الوباء بأنه مرض عام حيث جاء في شرح الجوهري بأنه الوبأ يمد ويقصر وجمع المقصور أوباء وجمع الممدود أوبئة وقد وبئت الأرض توبأ فهي موبوءة إذا كثر مرضها،وكذلك وبئت توبأ وباءة فهي وبئة[2]

كما عرفه محمد الرصاع في كتابه الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية بقوله الطاعون وزنه فاعول مبالغة في الطعن،وأصله من الطعن بالرمح وجمعه طواعين وهو ضد الصحةوهو مرض عام للناس قتال غالباً عن سبب مشترك كما ويطلق على الوباء مرادفات أخرى كالقرف،فيقال احذر القرف في غنمك،وقيل القرف هو العدوى فأقرف الجرب الصحاح:أعداها[3]

وذكره لسان الدين ابن الخطيب بقوله هو مرض حاد حار السبب سمي المادة يتصل بالروح بدءاً بوساطة الهواء ويسري في العروق فيفسد الدم ويحيل رطويات الى السمية وتتبعه الحمى ونفث الدم،أو يظهر عنه خراج من جنس الطواعين[4]

1بولقطيبلحسين ،جوائح وأوبئة المغرب عهد الموحدين،الدار البيضاء، منشورات الزمن،(د.ط).ص23

2 الجوهري ابن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة2009م ،ص 1224

3محمد المواق ومحمد الرصاع،الأجوبة التونسية عن الأسئلة الغرناطية،تح،محمد حسن، ط 1،دار المدار الإسلامي، 2007م،ص 106

4أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن الخطيب ، مقنعة السائل عن المرض الهائل، تح حياة قارة،دار الأمان،الرباط،ط 1، 2015م،ص 65

أما العلامة ابن خلدون فيدرج لفظ الموتان للدلالة على الأمراض والوباء فيقول أن الدولة تمر بفترات زمنية وفي اخرها تناقص في العمران وفي هذه الفترة تكثر المجاعات والموتانأما مفهوم الوباء في المصطلحات الطبية فلا تكاد تخلو من معلومات عن هذه الأمراض،فالناس قد إعتادو على إطلاق اسم الوباء على الأمراض التي تصيب أهل بلد من البلدان وتشمل أكثرهم خاصة وأن الناس جميعهم يشتركون في استعمال الهواء الذي يستنشقونه [1] ويعرفه بطرس البستاني بقوله :مرض الحيوان يمرض مرضاً أظلمت طبيعته وإضطربت بعد صفائها واعتدالها فهو حالة خارجة عن الطبع ضارة بالفعل ويقابله الصحة ويعرف أيضا على أنه التعفن الذي يعرض في الهواء ويحول جوهر هذا الأخير الى الرداءة فيقع في الأبدان ويؤثر فيها تأثيراً عظيما [2]ويذكر ابن الجوزية كذلك أن الأمراض العامة متشابهة وهي التي يخرج بها المزاج عن الإعتدال وهذا الخروج يسمى مرضاً بعد أن يضر بالفعل إضرار محسوساً وهي على ثمانية أضرب:أربعة بسيطة وأربعة مركبة،والبسيطة البارد والحار والرطب واليابس والمركبة:الحار الرطب والحار اليابس،والبارد اليابس والبارد اليابس،وإن لم يضر المرض بالفعل يسمى خروجا عن الإعتدال صحة [3]

3ابن خلدون ،المقدمة،تح،محمد عبد الله الدرويش،دمشق،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،مراجعة سهيل زكار،(د.ط)،1425هـ/2004م،ص376.

2عبير بلاطة ، الطاعون الجارف وتأثيره الذهني والديموغرافي على انسان بلاد المغرب الإسلامي،مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط،اشراف عبد الغني حروز،جامعة محمد بوضياف المسيلة،2020/2019م،ص10

3ابن الجوزية ،المصدر السابق،ص4

من الصعب تحديد جغرافية للوباء،فهناك أوبئة محلية تصيب المغرب الأوسط أو إحدى حواضره فلا خلاف فيها ،وهناك أوبئة عامة تصيب بلاد المغرب الإسلامي بشكل عام كما هو الحال بنسبة لوباء 749هـ/1348م،لكن على خلاف هذا الوباء الذي نعلم يقينا أنه شمل المغرب الأوسط،لسنا نعلم إن كانت الأوبئة الأخرى قد أصابته أيضاأم لانعدام مادة مصدرية تثبت أو تنفي ذلك،فعلى الأرجح أن يكون المغرب الأوسط قد أصيب بالبعض من هذه الأوبئة،لأن مثل هذه الأمراض تكون سريعة الأنتشار،والعدوى منها تكون عن طريق الاحتكاك التجاري والعلمي بين مختلف بلدان المغرب،خاصة أون المغرب الّأوسط كان يشكل منطقة عبور نحو بلاد المشرق بهدف التجارة والحج ورحلات لطلب العلم .[1]

[1]ابن خلدون،المقدمة،المصدر السابق ،ص38

المبحث الثاني: أهم الأمراض الوبائية المنتشرة في بلاد المغرب

تعرضت بلاد المغرب طوال العصور لحملات وبائية وأمراض مختلفة حصدت أعداد هائلة منهاأمراض المعدة وهي من الأمراض الناتجة عن النظام الغذائي وتنتشر بصفة أسرع في أوساط الطبقة العامة من الناس وذلك بحكم تناولهم لأصناف مختلفة من الأغذية إلى جانب عدم تنظيم أوقات تناولها وقد ذكرت عدة أمراض تصيب المعدة جراء ذلك منها الحرقة الناتجة عن عصر هضم الغذاء والتي قد تتسبب في مشاكل أخرى ضف الى ذلك الأورام التي تخلفها التي تتسبب غالبا في وفاة المصاب [1]

ضف الى ذلك داء البلعوم الحنجرة الذي ينجم عنه التهاب الحلق وتورمه فترتفع درجة الحرارة المريض،وإذا كان هذا المرض مصحوباً بالسعال، وإذا كان المرض مصحوبا بالسعال يعالج بماء العنب واما إذا كان بدون سعال فيعالج بماء الرمان، بالإضافة الى مرض الذبحة أو النزلة وهي أمراض صدرية تسبب للمريض ضيقا في التنفس،ومرض الزكام والسعال الديكي الأطفال،كما عرف المغاربة مرض الصداع الذي يصيب الرأس لكن بدون حمى وكان شائعا بين العامة[2]

1بوكرابيلة زهرة وفطيمة مطهري ،الأمراض والأوبئة في الأندلس وطرق علاجها، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية العدد2021،2م،ص3

2عبد العزيزفيلالي ،تلمسان في العهد الزياني،موفم للنشر،(د.ط)،2002م،ص244

أما مرض الزرب أو الإسهال الشديد وهو من أشد أمراض البطن خطورة وفتكاً بالناس عموما مهما إختلفت أعمارهم، ويذكر ان المغاربة كانو يستعملون النبق لمداوة الإسهال الشديد ويرجح الحسن الوزان أن هذا المرض مرده الى شرب الماء البارد[1]

وخلال الفترة الوسيطية انتشر أيضا مرض الطاعون أو ما عرف بالطاعون الأسود الذي لم يسلم منه أي كائن فقد إعتبر من أشد الطواعين فتكاً وقد قضى على خلق كبير خصوصا في المغرب الأوسط خلال الحكم الزياني [2] وحسب المؤرخ عبد العزيز فيلالي فقد عرفت تلمسان هذا الطاعون عدة مرات فقد كان يظهر على رأس كل عشر سنوات أو خمس عشرة سنة أو عشرين تقريبا يذهب بالألاف من الناس،وقدإنفرد صاحب كتاب نفاضة الجراب بالحديث عن وباء الطاعون الذي أصاب بلاد المغرب فترك لنا وصفاً دقيقا عن انتشاره وعما أصاب الناس به من ضرر ومعاناتهم الكثيرة بقوله ووجدنا الطاعون في بيوتهم قد نزل،وإحتجز منهم الكثير الى القبور،وقد كان هذا المرض قد تفشى في طبقة العامة من الناس واشتد على الفقراء حيث يكثر الاختلاط ولا تتوفر شروط النظافة والصحة[3]وربما كان سببه كما فسره غالبية الأطباء في الفترة الوسيطية بفساد الهواء وإنتشار الجيف التي تبقى متعفنة من الحروب وفساد التربة،وهناك من رأى بأنه إرتباط بالمواقيت الفلكية أي حركات بعض

1تلي رفيق ، المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبد العصور، المركز الديمقراطي العربي للدرسات الإستراتجية والسياسيّة 2001م،ص14

2شامي يمينة ، الفقر والفقراء بمالغرب الأوسط خلال العصر الوسيط دراسة سوسيو اقتصادية مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر اختصاص تاريخ وسيط،جامعة محمد بوضياف المسيلة،السنة الجامعية 2016/2015م،ص 34

3عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق،ص252

النجوم [1] وهذا ما يؤكده أحمد السعداوي بقوله أن الطاعون لديه نوعين من الأسباب أسباب سماوية وأخرى طبيعية وبأنه أمر قضاء لا مفر منه [2]

ففساد الهواء يعد العامل الرئيسي والمسؤول عن حدوث الأوبئة والأمراض وذلك بفعل الرطوبة والحرارة الزائدتين وكثرة التعفن بالإضافة الى مخالطة الهواء بأبخرة حارة ويابسة متعفنة وكذلك هبوب الرياح الشمالية وتساقط الأمطار بغزارة في فصل الصيف قد يفسد الهواء ويعفنه فتحدث الأمراض كالحمى الوبائية [3] الذي من ميزاته أشعة الشمس القوية و كثرة الرياح و الغبار [4]، و هناك من يفسر سبب هذا المرض تفسيرا سطحيا فالشيخ أبو زكريا يحي بن صالح مصطاوي وهو عبد صالح كثير البكاء و الخوف من الله تعالى و مازال يبكي إلى أن سقطت عيناه من كثرة البكاء ، فالبكاء من أسباب مرض العيون وهذا المرض في الغالب أصاب كثيرا من الشيوخ فأبو أسحاق أبراهيم بن ميمون

---

1 شخومسعدي،منظومة العلاج في المعرفة الصحية بتلمسان الوسيطية ، مجلة الجزائرية للبحوث والدراسات، التاريخية المتوسطية،العدد2، 2021م،ص 40

2 أحمد السعداوي،المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته القرنين 8 9هـ،(د.ط)، 1995،ص13

3 تلي رفيق،المرجع السابق،ص 63

4 الإدريسي (محمد بن عبد الله الحمودي السبتي ت560هـ/1164م):المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، حققه و نقله إلى الفرنسية، محمد بلحاج صادق، المؤسسة العامة للنشر والإشهار، حيدرة، الجزائر،1983،ص61

بن بهلول الزواوي كف بصره في أخر حياته [1]، ولم يسلم من هذا المرض الشباب و الأطفال أيضا فقد كان لأبي زكريا يحي بن محمد بن عبد الرحمان التادلي ولد صغير أعمى[2]

كما كانت ساكنة بلاد المغرب معرضة لمرض السل و كان إنتشاره عند الصغار اكثر من الكبار و السبب يرجع إلى قلة و سائل الدفء ، من ثم إنتشر السعال ، وكان المصاب بالسعال يظل يسعل ثلاثة ايام أو أربعة حتى تفيض روحه ، ولمواجهة هذا المرض أكثر السكان من إستعمال المعاجين و الأدهان الساخنة بالإضافة الى أمراض أخرى [3]

كما كان مرض القرع منتشرا بشكل كبير خاصة الأطفال الصغار و النساء البالغات، فيصعب الاستشفاء منه إلا بمشقة، و يصيب صداع الرأس كثيرا من الناس دون حمى في بعض الأحيان، و تكثر أمراض الأسنان التي يظن أنها ناشئة عن كون هؤلاء القوم يشربون الماء البارد فور تناولهم الحساء الحار، و يتألمون كذلك من أمراض المعدة التي يسمونها جهلا أمراض القلب، و يصاب الكثير منهم يوميا بإسهال و أوجاع حادة في أمعائهم، [4] و ذلك أيضا بسبب الماء البارد الذي يشربون، و يكثر

1الغبريني ، الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تح رابح بونار،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1971م ص 94

2بوتشيشامينة،نظرية علم الأمراض وأساليب التشخيص عند الأطباء المسلمين،المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية،العدد2، 2015م،ص34

3بكاي عبد المالك،النظرة الى المرض في المغرب الإسلامي خلال القرن 5_10هـ/11_16م، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية،العدد6، 2021م،ص4

4المرجع السابق،ص35

عندهم ا لم النسا (بوزلوم) و الركب بسبب الجلوس على الأرض و هم لا يلبسون أي نوع من السراويل.[1]

وكما ظهر مرض داء الزهري بحيث أن المصادر لم تمدنا بمعلومات دقيقة حول هذا الداء إلا ما قدمه لنا الحسن الوزان على أن هذا المرض له اوجاع وقروح كان منتشرا في بلاد البربر ولا يكاد يسلم منه إلا القليل، كما أن هذا الداء لم يكن معروفا لدى أهل البوادي وجبال الأطلس،بحيث انه ظهر في بلاد الفرنج وذلك لم طرد الدون فيرديناند ملك اسبانيا اليهود الى بلاد المغرب فظهر فيها هذا الداء وكان عدد من المغاربة على اتصال جنسي مع كثير من نساء اليهود [2]ضف الى ذلك البحر الذي يحيط بالمنطقة من ثلاث جهات، ذلك أن الموانئ البحرية في القرون الوسطى و العصر الحديث كانت أسرع طريق لنقل العدوى، إذ أن السفن الواردة على المغرب سواء ذلك من أوروبا: من الموانئ الايطالية أو الفرنسية أو من الشرق و خاصة من الإسكندرية أو من موانئ الشام تحمل معها الفيروس إما من بواسطة الفئران و القواضم التي تتحول من السفن الراسية بالموانئ إلى الرصيف، كذلك ينتقل الفيروس عن طريق من هو مصاب بالوباء من البحارة.[3]

كما ظهر أيضا مرض الجدري وهو مرض فيروسي حاد شديد العدوى له أعراض شديدة تتميز بظهور طفح جلدي ينجم عن تكوين حفرات تبدأ عوارض هذا المرض برعشة وارتفاع مفاجئ

1محمد العربي الخطابي،الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية،بيروت،دار الغرب الإسلامي،(د.ط)،(د.ت)،ص334

2الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا،تج،محمد حجي وآخرون،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط 2، 1983م، ص 84

3 محمد الأمين البزاز ، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب، المطبعة النجاح ،الدار البيضاء،1992م،ص100

لدرجات الحرارة ونزول الحمى بعد ذلك كذلك عرفت بلاد المغرب وخاصة المغرب الأوسط حمى التيفوئيد الوبائية الذي كان ينتقل الى الإنسان عن طريق البعوض ويظهر هذا المرض في صورة حمى شديدة وانتفاخ بالوجه مصحوب بألم شديد في العضلات والبطن[1]

كما يمكن القول أن الأمراض التي تم الإشارة إليها ليست هي كل ما ظهر في بلاد المغرب الإسلامي خلال تلك الفترة فهناك أمراض ذكرتها المصادر التاريخية بعد الفترة المدروسة مثل مرض الزهري، لكن لا يستبعد أن تكون قد وجدت خلال تلك الفترة. و تعددت أسباب الوباء منها يزعمونأن تغيير الهواء يكون من تغيير الفصول ، ويكون سبب فساده أيضا الأبخرة المتعفنة الصاعدة من الأرض وذلك أنها ترتفع أبخرة الفاسدة متعفنة من السباخ ومن البطايح المتغيرة الهواء و الأوخام و التربة الراكدة في الهواء ، و أقدار الناس و فضلاتهم ، وجيف القتلى في الملاحم الوخيمة و الدواب التي طالها الموتان ن ونحو ذلك مما يحدث البخارات المتعفنة [2]فيتغير الهواء عنها و يتعفن ، ويحدث عنها الوباء[3] ،

ومن أسباب الطاعون أيضا كما أسلفنا الذكر الفتن و الحروب بسبب خوج الثوار على الأمير فإذا ظهرت الخوارج و إشتدت الفتنة فحق ظهور الغلاء لأنه ملازم لها وإذا كان الغلاء و طال و إشتدأسبابه لزم عنه الوباء وهو علم صحيح و قانون مطرد لايحتاج إلى تعديل ة لا نظر في النجوم

---

1 تلي رفيق، المرجع السابق،ص 13

2 بكاي عبد المالك،المرجع السابق،ص4

3 أسكان حسين،المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية خلال العصر الوسيط شمال المغرب،(د.ط)،دار المنظومة الجديدة،2002م،ص 40

،تتميز هذه التفسيرات بطابعها العلمي ، إذ تحنو منحى ماديا في تحديد أسباب الأمراض التي تجدها أما في التغيرات الداخلية التي تحدث داخل الجسم البشري أو نوعية الأغذية المستعملة أو التغيرات المناخية.[1]

لقد ذكر الوزان أن الوباء يظهر في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات ،أو خمسة عشرة سنة أو خمسة وعشرون سنة [2] ،لكن لسنا نعلم أن مقولته هذه تنطبق على المغرب الأوسط أيضا كمجال للدارسة،في غياب مادة مصدرية تسمح لنا ببناء تتابع كرونولوجي لمختلف الأوبئة التي شهدتها المغرب الإسلامي ومن بين أهم الطواعين التي عصفت ببلاد المغرب الإسلامي نجد طاعون إفريقية 543هـ/1147م وقد كان الشتاء مريعا إذ إضطر الناس الى مغادرة البلاد والقرى الى صقلية وكثر الموت في الناس[3]، وهناك طاعون 571هـ/1176م الذي نزل بمدينة مراكش ولم يعهد مثله من قبل وقد إنتهى عدد الأموات مائة الى مائة وتسعون شخصاً وأكثر من ذلك،حتى أن الناس لم يستطيعو حملهم الى الجامع للصلاة [4] وهناك وباء أيضا سنة 588هـ/1192م،قد ذكره لنا ابن عذارى بحيث

1المرجع السابق،ص45

2الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا،تج،محمد حجي وآخرون،دار الغرب الإسلاميبيروت،لبنان،ط2، 1983م. ج2.ص85

3الهادي روجي ، الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10م الى القرن 12م، تج،حمادي الساحلي بيروت ،دار الغرب الإسلامي،ج1،ط1،ص 416

4 ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج 1،تح، كولان وليفي بروفنسال،ط 3،بيروت،دار الثقافة،1983م،ص136

أن أسباب هذا الوباء ترجع الى الحرب التي دارت بين بنو غانية والموحدين وظهر هذا الوباء في بجاية بعد نقص الغذاء وازداد الجوع فكان" الوباء يزيد حتى عم الموتان"[1]

هناك أوبئة أيضا عرفتها منطقة افريقية لكن يبقى الحكم على هذه الأوبئةّ أنها شملت بلاد المغرب الأوسط يبقى أمرا نسبيا نظرا لنفس الأسباب المسجلة سابقا.وبالنظر إلى سرعة ووتيرة انتشار الأوبئة ببلاد المغرب ككل من جهة يسمح لنا بالقول أنها كانت دورية تظهر على رأس كل خمس سنوات أوعشر سنوات،مما يؤكد بذلك قول الحسن الوزان،لكن من جهة أخرى أذ نظرنا الى الأوبئة التي سجلت المصادر التاريخية حدوثها بالمغرب الأوسط لا يمكن الحكم عليها على أنها دورية لأن فترات ظهورها كانت متباعدة جدا تفوق الخمس وعشرين سنة،ونستثني من ذلك وباء سنة 740هـ/1339م ووباء 749هـ/1348م والذي من المحتمل أن يكون ابن مرزوق [2] يقصد به طاعون 749هـ/1348م نفسه

ربما هاذي بعض الأمراض الوبائية وامثلة عن بعض الطواعين التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي وفي الجدول التالي يتوضح لدينا أهم الأمراض والأوبئةالتي كانت منتشرة بشكل ملحوظ في المغرب الإسلامي ضمن الفترة المدروسة

1المصدر السابق،ص 181

2ابن مرزوق : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن ابي بكر بن مرزوق العجيسيالتلمساني،الشهير بابن مرزوق وهو من سليل بين علم وتوراث أفراده العلم والمناصب عدة قرون(766_842هـ/1364_1438م)،ينظر:شمس الدين السخاوي الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،بيروت،دار الجيل ،1992م مج7،ص50

المبحث الثالث: ديموغرفيا الأوبئة والأمراض

طوال سنين ظلت المجاعات والأوبئة تثير اهتمام الرحالة والجغرافيين وتجعل أصحاب هذه المؤلفات يصفون بعض المخلفات السلبية لهذه الكوراث على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية،أما كتب المناقب والتراجم ركزت على ذكر سنة المجاعة او الوباء من خلال الحديث عن وفاة عالم [1]

ودليل ذلك ما ذكره جودة عبد الكريم يوسف حول الأزمات إذا يقول أن بلاد المغرب تعرضت الى محن وشدائد خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين،بعضها من جراء الفتن والحروب والبعض الأخر من جراء الكوارث الطبيعية كالقحط والأوبئة،ويشير إلى ذلك ابن حوقل بقوله أن أهل تاهرتافتقرو بسبب تواتر الفتن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت.[2]

فقد عاش سكان المغرب الإسلامي بصفة عامة والاوسط بصفة خاصة أزمة اقتصادية خانقة جراء تفشي الأوبئة فلم تسلم لا الزراعة ولا التجارة ولا الصناعة من انهيار في البنى التحتية لها، وفسر هذا الوضع بتراجع الإنتاج وعدم قدرة السلطة من توفير الغذاء للرعية خصوصا الطبقة الكادحة مثال

1محمد ياسر الهلالي،أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال أواخر العصر الوسيط،الجمعية المغربية للبحث التاريخي،كلية الآداب،2002م،ص45

2 جودة عبد الكريم يوسف،الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،(د.ت)،ص 451

ذلك أن سلاطين بني زيان كانو يخبؤون المؤن من قمح وشعير أيام الأزمات فالقحط بالرغم من كثرة حدوثه في بلاد المغرب كان أقل إبادة من الوباء ويصيب سكان الأرياف والبوادي[1]

وفضلا عن المظاهر الاجتماعية التي يخلفها المرض والطاعون فقد كان الوباء في كثير من الأحيان عقبة دون تحقيق بعض الطموحات السياسية،فقد حال الطاعون الجارف لسنة749ه/1348م دون استكمال مشروع التوحيد الذي خطط له السلطان أبو الحسن المريني،وخرج بحملته الى افريقية التي فشلت بسبب الوباء الذي أدركه،وأهلك الكثير من أفراد جيشه وكثير من العلماء ممن رافقوه[2]

ونلاحظ من خلال حديث عبد العزيز فيلالي عن تلمسان من خلال عودة الطاعون إليها في عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني(560_791ه/1359_1389م) أن الطاعون أدى الى هلاك الكثير من الخلق وظهر تأثيره على الصناعة من خلال الضمور السكاني التي هي بطبيعة الحال القوة المنتجة[3] وبالتالي إندثار الكثير من الصناعات التي كانت تضم الحرفيين والصناع مثل دار الصناعة التي أنشأها أبو حمو موسى والتي أغلقت لعدم وجود الصناع وبتالي صارت تلمسان بعد هذ االوباء مهجورة السكان وانعدمت المنتجات الصناعية في الأسواق والحوانيت كما أن اختيار مواقع المدن له

1تلي رفيق،المرجع السابق،ص 22

2سمية مزدور،الأمراض والأوبئة في المغرب الأوسط(927_588ه/1192_1520م)، مذكرة ماجيستير، جامعة منتوري،1429_1430ه/2008_2009م،ص227

3عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق،ص176.

علاقة بالصحة العامة فالعوامل الجغرافية تلعب دورا هاما في توجيه النسيج العمراني للمدينة و في طليعتها الموقع المرتفع الذي يعد الأصلح للتعمير فهو يمنع على ساكني[1]

يقول ابن خلدون أن الدولة في نهاية عمرها ينشط بها العمران ويكثر التناسل وأن كان كله بالتدريج فإنما يظهر بعد جيل أو جيلين في الأقل وفي إنقضاء الجيلين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي،ثم إن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه: إما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في آخر الدول فيقل إحتكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العا لم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل...إلا أن الناس واثقون فيأقواتهم بالإحتكار فإذا فقد الإحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وعجز عنه أولو الخصاصة فهلكوا[2]

لقد كان الوباء والمرض يضرب بلاد المغرب بشكل دوري كل عشر سنوات أو خمسة عشرة سنة غير أنه ومع أول ظهور للطاعون الأسود في منتصف المائة الثامنة للهجرة حتى بدأت عواقبه وخيمة تظهر وتشمل جميع مظاهر الحياة الاجتماعية والإقتصادية، ومما لا شك فيه أن نتائج هذا الطاعون كانت على المدى البعيد أشد فداحة فقد أخذ تعداد السكان يتهاوى بمعدل ثابت على مدى قرن بعد عام

1نفسه،ص178

2ابن خلدون ،المصدر السابق،ص375

749هـ/1348م بحيث أضحى ذلك التهاوي ملمحا بارزا من ملامح القرنين الرابع عشر والخامس عشر[1]

لقد كان المشهد المأساوي الذي أصاب الأسر والأفراد نتيجة الطاعون والامراض التي ضربت المغرب الإسلامي وهلك من خلاله سكان المدن والارياف وتضررت عديد الأسر، فقد لقي مثلا خلاله والدي العلامة ابن خلدون حتفهما وتوفيت والدة ابن بطوطة وهلك أيضا خلاله أولاد يوسف بن يحي بن يوسف حفيد التفريسي[2]

وغيرهم ،وكانت نتائجه وخيمة على عدة مستويات ديمغوغرافية منها الزواج والولادة وانتقال السكان من المجالات أقل تضررا بالوباء كالجبال والواحات الى المدن،كذلك تنامي ظاهرة الخلاء النسبي لبعض المناطق التي أصبحت شبه خالية، وإذا كانت المصادر المغاربية لا تتوفر على أرقام إحصائية ولو تقديرية لحجم الخسائر الديمغرافية التي حصدتها الجائحة الطاعونية ذلك أن المعطيات الإحصائية غائبة بصورة شبه كلية ما يحيل إلى الإعتماد على المصادر الأندلسية والمشرقية باعتبار الطاعون كان وباء عالميا ومن خلال الجدول نقارن المعطيات الرقمية للطاعون الأسود الذي ضرب بعض المدن ببلاد المغرب الإسلامي:

تونس	تلمسان	بلنسية	ميورقة
12012 وفاة	700وفاة	1500وفاة	1252وفاة

1بقرار منير ،أثر الطاعون الأسود على الوضع الديمغرافي والإقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي، مجلة أفاق فكرية،العدد2،ص28

2المرجع السابق،ص29

ومن خلال الجدول نلاحظ مدى حصيلة الوفيات وتفاوتها بالمدن الساحلية للغرب الإسلامي خلال ازمة الطاعون الجارف،وبتالي فالمستويات وانعكساته بلغت ذروتها [1]

لقد أثرت الأزمات والأوبئة وخصوصا الطاعون بشكل لافت على مظاهر الحياة في بلاد المغرب الإسلامي فقد أصاب العمران ما حل بالعباد والإقتصاد فخلت المنازل واندثرت عدة قرى وخاصة بالبلاد الساحلية ونعتقد في هذا الصدد أن انقطاع الخبز عن عدة قرى مرده هذه الأوبئة التي فتكت بتجمعات سكنية بأكملها وأجبرت من تبقى منها على شد عصا الترحال والفرار ولا يستبعد أن يكون هذا المعطى هو العامل الأساسي في التراجع الحضري لبلاد إفريقية والمغرب،وحسبنا في ذلك شهادة ابن خلدون[2]

فلم يقتصر الأمر على القرى إنما كان المشهد العمراني أكثر وقعا بالمدن ويكفي أن نقرأ المصنفات التي كان أصحابها شاهدي عيان حتى نتبين حجم المأساة فقد أهملت العمائر المخزنية بمدينة تونس وتحولت بعض الأحيان الى خرائب ،أما على المستوى الاجتماعي فإن عدداً كبيرا من الحرفيين قد هلك فإنحسرت المهن والصنائع داخل المدن وأهملت المزراع والغروس،وإبتداء من تلك الحقبة أصبحت بلاد المغرب تشكو نقصا في عدد المزارعين وعمال الفلاحة [3]

1بقرار منير ، المرجع السابق،ص30

2محمد المواق،المرجع السابق،ص63

3نفسه،ص 65

الفصل الثاني:مواجهة المغاربة للأمراض والجوائح الموقف والتدابير وتأثير الأمراض علة الجانب الحضاري

المبحث الأول: موقف المغاربة من المرض والوباء :

و كما تتعدد الأمراض و تظهر الأوبئة فان أسبابها تتعدد و تختلف، لكن يمكن التنويه إلى جانب يعد سببا في حدوث الأمراض و الأوبئة، ألا و هو تفشي الفواحش و ارتكاب المعاصي، فقد تكون هذه الفاحشة سببا وجيها و حقيقا في إحداث المرض.و عن حديث النبي صلى الله عليه و سلم عن الطاعون قال: « **إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض و انتم بها فلا تخرجوا منها** ».

كل هذه الأحاديث جاءت للدلالة على أن الأمراض و تفشيها في جماعة أو طائفة جاء كنتيجة للفساد و ظهور الفواحش فيهم، فهي نوع من أنواع العقوبات التي يسلطها الله سبحانه و تعالى على عباده، إذا كثرت فيهم المعاصي و عم الفساد.[1]

ضف الى ذلك هنالك من أولياء المغرب من كان يعتقد أن سبب الطاعون والمرض أنما هو وخز من الجان وكانو يعتقدون أن باقي الأوبئة التي تشمل عامة الناس يكون سببها الوخز أيضا وهذا ما يتضح لنا من خلال ما ذكره القلعي عن أحد أولياء يدعى" أبا وجلوط" أنه حينما مرض قومه بالوباء قام باستدعاء جماعة من الجن لشيخه أبا محمد عبد الخالق بن ياسين،وطلب من هذه الجماعة أن يظهرو أحد منهم حتى يحاوره فقال أبو وجلوط لشيخه

1 صديقي محمد ،المرجع السابق ،ص 78

ابي محمد إن قوم هذا الجن أضروا بأهل بلدنا فكلهم مرضى فقال الجن ما أضرررنا أحد وما مرضوا إلا من تغير الهواء بلدهم [1]

ويقدم لنا الونشريسي جملة من المعلومات في هذا الشأن فيقول كان الأولياء يعتقدون من ناحية أخرى أيضا أن أسباب الأمراض جميعا هو إذاية الجن للإنسان، ذلك اتخذ هؤلاء من الرقية أسلوبا أساسيا لعلاج الكثير من الأمراض، وكان الراقي في المجتمع المغرب الأوسط يتمتع بشخصية كريزمائية[2]

كما كان من الحق من يداوي بالرقية أن يأخذ على ذلك أجرة دون أن تحدد بقدر معلوم، شرط أن تكون هذه الرقية في نظر الفقهاء رقية شرعية، يذكر أسماء الله أو شيئا من القرآن، إن خطاب المنقبي وبصفته خطابا موجها لتمجيد مجتمع الأولياء يطرح لنا مثل هذه الحالات البديل الفوري لحل أزمة المرض، ينتهجه إبراز دور الولي في علاج مختلف الأمراض بنمط مغاير عما ينتهجه الطبيب، فتحل الروح هنا محل المادة[3]

في الحقيقة لم تكن المصادر التي أرخت المغرب الأوسط لتقدم لنا معلومات تبين لنا مدى اهتمام السلطة بشؤون الصحة، ولا في مدى تفاعلها مع الأوبئة التي حولت هذا المجتمع وجعلته في سوء أمره، ولا في الإجراءات التي عملت بها إزاءها، ولا شك أنها تختلف بشكل

1سمية مزدور، المرجع السابق،ص 176

2 احمد بن يحي التلمساني الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والمغرب،تح:محمد الحجي واخرون،دار الغرب الإسلامي،بيروت،(د.ت)،، ج11ص28

3 المصدر السابق،ص29

كبير عن الجهود التي بذلت في رقت المجاعة، خاصة إذا كانت هذه الأوبئة كنتيجة عنها فالأمر سواء، ومن المؤسف أيضا أننا لا نملك في جعبتنا معلومات تخص موقف السلطة من الأمراض والأوبئة خاصة وأنها ربما إتخذت أماكن خاصة للمرضى وخاصة مرضى الجذام والتي في الغالب تكون بعيدة كل البعد عن التجمعات السكنية، كي لا يلحق الضرر بالعامة مثلما هو الحال بالمغرب الأقصى فقد كانت الدولة تجمع المصابين بهذا المرض في أماكن خاصة وأورد المازوني إشارة كانت كفيلة بإزالة الغموض حيث ذكر قضية عزل الإمام لمرضى الجذام عن الناس كي لا يتأذو منهم حيث قام بعرض أراء الفقهاء وبين برأيه ما هو الشيء المهم[1]

ارتبط ظهور التصوف في منشئه بمخاطبة العامة و التقرب إليهم، فقد تركت هذه العلاقة بصمات واضحة على مختلف جوانب الحياة، و كان الطب من بين الجوانب التي وثقت العلاقة بين فئة العامة و رجال التصوف،

و استعمل المتصوفة طرقا مختلفة في معالجة مرضاهم تراوحت بين الجانب الروحي و الجانب المادي،فمنها الكرامة و البركة و الدعاء لشفاء المرضى، و منها اللمس أو الريق أو استعمال الأعشاب و العقاقير. [2]كما يمكن الالتفات إلى نقطة هامة تشير إليها المادة التاريخية ألا و

1سمية مزدور،المرجع السابق،ص156

2 بن حمادة سعيد ،الصحة العقلية والنفسية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط،مجلة الدراسات والأبحاث،العدد3

هي تمسك العامة بطب الأولياء، و يمكن أن تطرح بذلك عدة تساؤلات و منها: ما هي طرق العلاج عند المتصوفة؟ ثم ما مدى نجاعة طب المتصوفة؟[1]

مع القرن 6هـ/12م، و استمر في التوسع و التزايد حتى نهاية العصر الوسيط، و كثيرا ما تروي كتب المناقب طبيعة المعاملة التي حظي بها العامة من طرف المتصوفة، و قد عرف عن المتصوفة بمساعداتهم لفئة العامة بما يستطيعوا خاصة في الجانب الصحي، و يذكر ابن قنفذ بعض المتصوفة بقوله: « و رأيت منهم بفاس وهو حي ألا بها ولي الله الفقيه الزاهد الوارع أبا عبد الله محمد الجناتي...فكان يبادر الى خدمة الغريب المريض ويسعى في أمره[2]

1نفسه،ص67

2ابن الزيات التادلي ابي يعقوب يوسف بن يحي،التشوف الى رجال التصوف وأخبار ابي العباس السبتي،تح،احمد التوفيق،الدار البيضاء،منشورات كلية الآداب،ط1997،2م،ص214

المبحث الثاني: تدابير عامة المغاربة لمواجهة المرض

حرص الرسول صلى الله عليه و سلم على تنبيه أمته من الوقاية من الأمراض ، سواء كانت هذه الأمراض روحية أو جسدية ، كما أنه صلى الله عليه و سلم حث عل تداوي من أجل حفاظ على صحة الإنسان ، و صيانتها من الأذى ، روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : سدر الله اليقين و العافاة ، فما أوفي أحد بعد اليقين خير من العافية ، فاليقين المقصود به هو العلاج الروحي و العافية تكون في معالجة الأمراض الجسدية [1] بالإضافة الى أن كتب النوازل قد حفظت لنا مجموعة من التدابير التي كان يقوم بها الناس لمواجهة الأوبئة والأزمات فقد كانو يقدمون على إدخار وتخزين الحبوب والمواد الغذائية في مطامير خاصة بالأفراد إستفحال الوباء كان الناس يلجؤن الى بيع ما يملكون بداء من أمتعتهم وصولا الى بيوتهم بأثمان بخسة بغية توفير الطعام[2]

يذكر لنا لسان الدين ابن الخطيب أنه استعمل نوعين من العلاج الأول يكون احترازيا قبل وقوع المرض بالشخص عن طريق التغذية الجيدة والهواء النقي ونظافة المجالس بالإضافة اجتناب أي أمر له علاقة بشخص مريض بالطاعون أو مات به مثل الملابس والمسكن[3] عرف المغرب الإسلامي انتشارا ملحوظا لأنواع مختلفة من الأمراض والتي كانت

1عبد الباسط محمد السيد،أساسيات التداوي بالأعشاب والطب النبوي دعوة للتقنين العلمي لأعشاب الطب النبوي والتراث العربي،ط2، دار نويار،القاهرة،مصر،2003،ص136

2 تلي رفيق، المرجع السابق،ص 147

3 نفسه،ص148

تحصد في طريقها الكثير من الأرواح،وهو ما دفع السكان الى محاولة التصدي لها ومقارعتها ويكون ذلك بالتداوي أو باستعمال عادات وتقاليد متوراثة[1]

فلم يبقى صناع الطب والمداواة مكتوفي الأيدي أمام تفاقم الأوبئة والأمراض بل راحو يكتشفون الأسباب والعلل ويخلطون تركيباتهم المعالجة للحد من الظاهرة،فالبرغم من أنهم تمكنو من صنع وصفات وأدوية لهذه الأمراض إلا أننا لا نعلم ما مدى نجاعتها، فقد إستند العلاج أساسا على أدوية نباتية ولقاحات وتطهير للأمعاء والحجامة وبعض الأشربة والأدهان وغيرها[2]

تعددت طرق العلاج والتدابير المتخذة لدى المغاربة في هذا السياق وسنحاول من خلال هذا المبحث الإجابة عن هذه التساؤلات فقد كان من نماذج و طرق المداواة لدى كبار المتصوفة ما اشتهر به العلامة الشيخ أبو العباس السبتي [3]الذي كان يعالج الأمراض، و حل المشاكل بالصدقة، فكل مريض استنجد به يأمره بالصدقة ثم يشفى من مرضه، و قد كانت من عادة العامة أن يتوجهوا إلى الصلحاء إما للتطبيب أو للدعاء للمرضى لكي يتم الشفاء على يدهم[4]

1بكاي عبد المالك،المرجع السابق، ص2

2تلي رفيق ، المرجع السابق،ص 25

3أبو العباس السبتي:هو أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي ولد بسبتة عام524هـ/1130م نزل بمراكش وبها مات سنة 601هـ/1205م،ينظر:ابن الزيات التادلي،المصدر السابق،ص452

4محمد حقي، الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط،مطبعة مانبال،ط2007م،ص78

و يذكر ابن الزيات أن أبا محمد بن عبد الله بن يخلف الصابوري قال: مرضت لنا صبية، فحملناها إلى أبي يعزي ليدعو لها فدعا لها، و لم يقتصر استنجاد العامة بالصلحاء في مجال الشفاء من الأمراض بل فاقه إلى مختلف الكوارث الطبيعية، و يذكر التالي عن أبي محمد عبد الغفور عندما ذهب إلى أغمات فقال: فمررنا بقوم مجتمعين على قتل الجراد فقاموا إلى أبي محمد و شكوا إليه ما نزل بهم من الجراد، فقال لهم: لعل الله يصرفه عنكم حتى لا تعلموا هل غاص في الأرض أم صعد في السماء، فدعا لهم و انصرفنا، فرجعت من اغمات في اليوم الثاني، فمررت بأولئك القوم فقالوا له اقرأ سلامنا على الفقه أبي محمد و اعلمه أن الله تعالى قد أراحنا من الجراد، فالجراد كان من الكوارث التي تؤدي إلى الجوع و انتشار الأمراض، و هناك نماذج متعددة في وقوف المتصوفة مع العامة للحد إما من الجوع أو المعالجة و التداوي، و لقد كان المصامدة يزورون وجاج بن زلو اللمطي من أهل السوس الأقصى و يتبركون بدعائه، و إذا أصابهم القحط استسقوا به.[1]

ومن نماذج أيضا المداواة عند المتصوفة، ما يخبر به صاحب المستفاد عن عبد الله بن معلي، انه كان له صاحب يسمى بحجاج فضربته سكين في عينه الواحدة، و كان الحكيم ابن عمار يعالجها فقال له الحكيم ابن عمار: لا تسرف في علاج عينك فقد فسدت و لا

1 التادلي، المصدر السابق،ص400

تنتفع بها، قال حجاج: فان صرفت عنه و أنا باك على فقد عيني، فلما قربت من مسجد ابن محمود و هو بالقرب من حانوت ابن عمار لقيت عبد الله بن معلي، فسألني عن...[1]

و من المتصوفة من كان يعتمد على اللمس و الريق، كما يتحدث ابن قنفذ عن الولي أبو الحسن علي بن أيوب عندما لجا إليه رجل يشكو من وجع في بطنه يصيح منه، فمسح بيده المباركة و حرك شفتيه فذهب ألمه بقدر الله تعالى، و لقد سلك أولياء المغرب الإسلامي أسلوب العلاج بالرقي للمريض و عالجوا الصرع من الجن و العين، و تعددت استعمالات الرقية، فنجد البعض يستعين بها عند حدوث الأمراض الوبائية و المزمنة.و يوجد نموذج آخر لتفوق طب المتصوفة ما ذكره التادلي عن صديق أبي مدين شعيب المدعو أبو لقمان يزرجان ابن يعقوب الأسود (570هـ/1175م) انه كان يعالج الصرع، كما يذكر عن عبد الله بن عيسى بن صقر قال: كنت في شبيبتي تصيبني غاشية ... فحملتني- أمه – إلى أبي لقمان ... فقالت له أما الأطباء فقد عجزوا و لم يبق إلا طب الله تعالى، فمسح بيده على راسي فما أصابني الصرع من حينئذ إلى الآن، و من ... لكن لا يمكن الجزم في كل الأحوال بتلك النماذج، فقد ظهر في بلاد المغرب نوع من التنافس بين الأطباء و المتصوفة في المجال الطبي، و قد سعت الكرامة إلى تشويه الطب الدنيوي فصورته عاجزا، و إن كثير منهم بعدما يئسوا من الاستشفاء عند الأطباء اتجهوا إلى الأولياء فبرأوا من أمراضهم المزمنة بدون أي مقابل ما عدا (الفتوح)، و من أمثلة التنافس بين الأولياء و الأطباء في هذا المجال، فالأطباء كانوا

1بختة خليلي،الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(1315م) واقعه وآثاره رسالة دكتوراه جامعة اسطمبولي معسكر،2016/2015م،ص278

ينكرون على الأولياء تدخلهم في هذا الميدان، بينما سعى الأولياء إلى إبراز قدراتهم على المعالجة خاصة للأمراض المزمنة. [1]

لهذا فان عملية التطبيب عند المتصوفة و باستخدام طرق متعددة كالدعاء و الريق و اللمس التي كانت في الغالب محل إعجاب و ذهول عند العامة فقد استطاعوا في عدة مواضيع معالجة أمراض مستعصية، لكن يمكن أن تكون القناعة بالوالي و بكرامته سببا أوليا في بداية الشفاء و الارتياح النفسي، كما تبقى تلك الأمراض التي استعصت على الأطباء و استطاع المتصوفة علاجها، فهنا يمكن أن تكون إما لمعرفة أنواع الأعشاب و العقاقير أو لبركة الدعاء و الكرامة.[2]

وحث النبي صلى الله عليه وسلم على التداوي لأهمية صحة الإنسان في الحياة الدنيا وهناك احاديث تبين ذلك منها ماورد في مسند الإمام أحمد من حديث بن علاقة بن أسامة بن شريك قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم و جاء أعراب : فقالوا يارسول الله أننا أوى ، فقال صلى الله عليه وسلم : نعم ياعبد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد ، فقالو ماهو ، قال صلى الله عليه وسلم : الحرم ، الحديث أخرجه أحمد في المسند و الترميذي في سننه وبتالي كان لزاما على أهل المغرب الإستعانة

1 التادلي، المصدر السابق،ص233

2نفسه،ص141

بالطب الأخر وهو ما يقصد به طب البديل في وقتنا الحاضر أو العلاج بالأعشاب وهو الأمر الذي كان متوفرا بكثرة في بلاد المغرب الإسلامي[1]

كما ذكر ابن خلدون في ذلك إن للبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثا عن مشايخ الحي و عجائزه، و ربما يصح منه البعض إلا انه ليس على قانون طبيعي و لا على موافقة المزاج، التطبيب عند أهل البادية لم يكن يعتمد على الطب العلمي بل على ما تعلمونه من التجارب السابقة، و المعتقدات الشعبية التي يستعمل فيها الأعشاب و العقاقير بصورة [2]

و استعمل نبات الياسمين و يطلق عليه بالفارسية باسمان، و يغرس هذا النبات في البساتين، و ميزة هذه النبات، انه حار يابس جيد لأصحاب البلغم، نافع من رطوبات البلغم المالح، و يقي من الصداع العارض و من البلغم اللزج، و هو ينفع إذا دق رطبا و يابسا، و ينفع مسحوقه عندما تضمد به الجراح، و كذلك يمكن الدهن بالياسمين و هذا الدهن حار لطيف ينفع من وجع الكلى إذا أصابها البرد، و ينفع من الفالج و الارتعاش و جميع الأمراض الباردة، و خاصة تقوية الأعضاء الباطنية. [3]

1رابح أولاد ضياف، نشأة وتطور الخدمة الطبية في المستشفيات الإسلامية من العهد النبوي الى القرن7هـ،حوليات جامعة قالمة للعلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ وعلم الأثار،العدد9، 2014م،، ص 19.

2ابن خلدون ،المقدمة ،المصدر السابق،ص103

3 نفسه،ص56

و يمكن القول أن الجانب الروحي له علاقة وثيقة مع بدن الإنسان، خاصة إذا كان الدعاء عند وجود الصحة و العافية، قبل حدوث الأمراض و الأوبئة.

و يقول ابن خلدون عن الصحة و صلاح البدن « إن الجوع أصلح للبدن من إكثار الأغذية بكل وجه لما قدر عليه، أو على الإقلال منها، و إن له أثرا في الأجسام و العقول في صفائها و صلاحها »، فالجوع في نظره يعود الإنسان على التحمل و الصبر، فإذا كانت الشدة استطاع أن يتحمل أكثر، كما يشير إلى أن « الفاقدين للحبوب الأدم من أهل القفار أحسن حالا في جسومهم و أخلاقهم من أهل التلول المنغمسين في العيش، فألوانهم أصفى و أبدانهم أنقى و أشكالهم أتم و أحسن، و أخلاقهم ابعد من الانحراف و أذهانهم اثقب في المعارف و الإدراكات »، و في هذا الصدد ذكر الملثمين من صناهجة المغرب فيما بين بلاد البربر و السودان .[1]

و تتضح الأمور الوقائية عند المغاربة من خلال معيشتهم و طريقتهم في اختيار أزيائهم مثل الثياب الصوفية البيضاء التي ترافق الصحة في البلاد الحارة، إضافة إلى ارتداء الأثواب الفضفاضة التي تسهل تسرب الهواء الضروري لتنفس الجلد، كما ارتدوا ملابس تلائم الفصول الأربعة، أما عامل النظافة فكان من الأساسيات في الجانب الوقائي[2]

1ابن خلدون، المقدمة،المصدر السابق،ص199

2عبد الفتاح مصطفى،تاريخ الطب حتى نهاية الحضارة الإسلامية وأثره في الحضارة الاوربية، تح شحاتة أحمد،الإسكندرية،(د.ط)،ص8

و قد عكف أهل المغرب على إنشاء الحمامات في كل المدن و القرى، فقد ذكر البكري إن عد الحمامات في مدينة القيروان وحدها بلغ أربعين حماما، أما فاس فقد تحدث ابن أبي زرع على وجود حمامات كثيرة فقال: « فلا يزال الماء الساخن و البارد متوفرا بها في الشتاء و الصيف فهي بسبب ذلك منيعة على الدين و الطهارة و الصلاة و التنظيف »، و نصت بعض المصادر عن الطرق الوقائية لاستعمال الحمام، و نقلا عن صاحب كتاب" الماء و الإنسان في الأندلس" و تلخيصا لما ورد عن ابن نصر الشيرازي، و ابن خلصون، و ابن الخطيب أن لا يدخل المرء الحمام في يوم شديد الحر، فانه ييبس البدن، و لا في يوم شديد البرد و الريح، فانه لا يأمن من النزلات عند الخروج منه، و لا يدخله عند امتلاء المعدة، فانه يولد السدود و الحمى، و لا. ضف الى ذلك طرق السحر المتبعة كوسيلة للعلاج .[1]

لقد قصد الكثير من الناس أصحاب السحر و الشعوذة للعلاج عندهم خاصة لمن كان يعاني من أمراض مستعصية، و كان للسحرة حضور واضح في المجتمع بحيث اعتقد الكثير من الناس أنهم فئة لها خبرة و معرفة في الأمور الغيبية و الأمور التي لها علاقة بالعالم الآخر، و قد كان الظن أن سبب الأمراض هو لسحر موجود أو جني سكن الجسم.[2]

1عبد الفتاح مصطفى،المرجع السابق،ص12

2 ابن زهر عبد الملك بن ابي العلاء،التيسير في المدواة والتدبير،تح ميشيل الخوري،تقديم محي الدين صابر،دمشق، منشورات المنظمة العربية والثقافة،دار الفكر،1403هـ/1983م ،ص 350

فكان التداوي بالسحر حالات للضعف العقلي، و الجنون، و الصرع، و المزاج الحزين، و السحر من المعتقدات القديمة السائدة في مختلف المجتمعات فالعرب قديما كانوا يعتقدون أن المجنون رجل صرعته جنية، و المجنونة امرأة صرعها جني، و علاج هذه الأمراض يكون بالطلاسم و الشعوذة، كما كان للسحرة دراية بالأعشاب و العقاقير فكانوا يستعملونها في وصفات علاجية مفيدة للجسم مأخوذة من الأعشاب[1]

تجدر الإشارة إلى أن مهنة الطب كانت شائعة في بلاد المغرب الإسلامي قبل خضوع البلاد للعباسيين، فقد كان عدد من علماء الدين و رجال الجيش يتعاطون شيئا من التطبيب المكتسب من التجربة و التقليد الموروث، و كان يطلق على كل واحد من هؤلاء اسم (فقيه البدن)، و لعل عددا من هؤلاء المتطببين كانوا يرافقون الجيش و يداوون المرضى و الجرحى، و كانت لهم خبرة بالفصد و الحجامة و الكي و جبر العظام المكسورة .كما بدأ الاهتمام بالعلوم الطبية في بلاد المغرب منذ أوائل القرن 2هـ/8م، و بالتحديد عندما تولى أمير افريقية والي الخلافة العباسية – المهالبة– حيث ا ناول طبيب ظهر في البلاد هو السرياني يوحنا بن ماسويه المسيحي الذي قدم إلى القيروان في صحبة الأمير يزيد بن حاتم المهلبي حوالي سنة (155هـ/722م) و باشر عمله في خدمة الأمير العباسي.[2]

1لطرش أمينة، الأعشاب الطبية ممارسات وتصورات مقاربة انتروبولجية، رسالة ماجيستير،جامعة منتوري قسنطينة،2012/2011م ص60

2الخطابي محمد العربي،المرجع السابق،45

و لقد تأثرت بلاد المغرب في المجال الطبي بما كان يجري في بغداد و ذلك لاعتماد بني الأغلب على محاكاة ما يجري في بغداد، فما من علم يظهر في الدولة العباسية إلا كان بنو الأغلب سباقين لاقتنائه و وضع أسسه، و يظهر جليا عندما احضروا إسحاق بن.[1]

و في فترة المرابطين و الموحدين أولوا اهتماما كبيرا بالطب، و قاموا بتشجيع القائمين عليه، فالمغاربة في عهد المرابطين كانوا على صلة بالعلم و العلماء، و أوضح ذلك صاحب المعجب ذلك بقوله: « فان قطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحولة، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدري دولتهم »، بعد ما تم ضم مدن الأندلس إلى سيطرة المرابطين، فأصبحت الهجرة إلى دار أمير المسلمين بالحضرة مراكش، و التي كانت تشكل عاصمة البلاد بما فيها الأندلس [2]كما تم تنظيم مهنة الطب، و اتخذوا التدابير الوقائية من الأمراض و الأوبئة، أما في العهد الموحدي فقد كان للطب صولة و جولة في وقد اهتبل به الموحدون و بخاصة يوسف المنصور اهتبالا فائقا، و كان الطب يدرس على عهدهم بالمغرب، ففوق اعتنائهم بالطب الخاص بهم، اعتنوا كذلك بشؤون الرعية.[3]

1 الخطابي محمد العربي،المرجع السابق،ص 54

2المراكشي، المصدر السابق،ص 104

3 حنان بن ناصر، وفاء مزغني،الطب والصيدلة في بلاد المغرب خلال العص ر الوسيط،مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الوسيط والحديث، جامعة حمة لخضر ،الوادي، لخضر،الوادي، 1437 - 1438هـ/2016 - 2017م،ص67

و ترجم ذلك في استحداث مستشفيات (بيمارستانات)، و تم تنظيمها و الشاهد في المصادر انه من بيمارستانات المغرب من اشتهر و عرف بكبره و تنظيمه من كل الجوانب، فما هي أماكن العلاج التي كان يتداوى فيها المغاربة؟ و ما هي أهم البيمارستانات التي أنشئت في البلاد؟ ثم ما هي تنظيماتها و دورها العلاجي؟ [1] البيمرستانات : بفتح الراء و سكون السين و هي كلمة فارسية معربة تدل لفظها على أنها كلمة مكونة من جزئيين (بينار) و تعني مريض و (ستان) و تعني مكان و دار فهي دار المرضى ثم اختصرت في الاستعمال فصارت تسمى مارستان. كما أشار ابن أبي أصيبعة على أن البيمارستانات كانت كما هو معروف للتطبيب و كذلك التعليم، و كانت تهيأ أماكن خاصة للطلبة الذين يتعلمون و يتلقون العلوم. كما نضيف في الجانب الصحي الذي تجسده البيمار ستانات من الاهتمام بأصحاب المرض ووصف الدواء المناسب لهم، قدمت هذه المؤسسة دور آخر تجلى بوضوح زمن المجاعة، والتي كانت بمثابة الملاجء الخيرية التي لجأ إليها غالبية المساكين والفقراء، فيسهل توزيع الصدقات عليهم والاهتمام بهم بعد تجمعهم على أكمل وجه ويقول ابن خلدون في هذا الصياغ: ثم اقضى نظره الكريم (السلطان أبو تاشفين الزياني)[2]

1رابح أولاد ضياف، نشأة وتطور الخدمة الطبية في المستشفيات الإسلامية من العهد النبوي الى القرن 7هـ،حوليات جامعة قالمة للعلوم الإنسانية والإجتماعية،قسم التاريخ وعلم الأثار،العدد9، 2014م،.ص34

2أبو تاشفين الزياني: سلطان الدولة الزيانية الثامن عشر بتلمسان،حكم لمرتين الأولى من 1424الى 1428م والثانية لثلاثة أشهر سنة 1430م، إشتهر بابن الحمراء نسبة الى أمه ينظر:عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ص71

أن ضمهم أجمعين بيمار ستانات يأتيهم فيما رزقهم بكرة وعشيا شتاءا السنة، ويتضح الأمر جليا أنه لم يكن ليذكر ذلك إلا ليبرر مزايا هذا السلطان، والدور الذي تجسد بسببه إبان المجاعة التي اجتاحت تلمسان سنة 767هـ/ 1365م والتي سبق الإشارة إليها.[1]

لقد اعتمد أطباء المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي عامة تقريبا في ممارستهم الطبية على علوم أطباء اليونان أمثال جالينوس، وعلى الأطباء المساكين الأوائل أمثال ابن سينا، ويتضح ذلك جليا في مؤلفاتهم الطبية وفي الغالب ما يسندون بعض الأقوال في الطب إلى هؤلاء.[2] زيادة إلى الأدوية المركبة اعتمدت طرق الاستشفاء الطبي لدى أطباء المغرب على بعض الأغذية البسيطة، والمتوفرة لدى غالبية الناس، والتي تحتوي لها فائدة مهمة وكبيرة للعديد من الأمراض،[3]

كما وضح الكثير من الأطباء فلحوم البقر على سبيل المثال لا الحصر تزيد من حمى الربيع، والإدمان عليها يولد القوبا والسرطان والجذام هزيلة 886 وغيرها من الأغذية التي قد تضر بالإنسان أكثر مما تنفعه.وعلى الرغم أن الأطباء تمكنوا من تقديم وصفات طبية لأمراض وبائية وغير وبائية، فمجاعة هذه الأدوية يبقى أمر غير دقيق وواضح.[4]

---

1 ابن خلدون، المصدر السابق،344

2حقي محمد ،المرجع السابق،76

3 محمد حسين كامل، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب،منتدى سور أزبكية،(د.ط)،(د.ت)،ص87

4 المرجع السابق،ص89

كما نجمل مدى تجاوز هذه الوصفات حدود مات هو مكتوب لتجرب على أرض الواقع، أما عن طريق العلاج مختلف الأوبئة، بحيث كان الأمر صعب ومستعصي في العالم الإسلامي عموما في العصر الوسيط وهذا ما يوضح حجم الخسائر البشرية التي تخلدها تلك الأوبئة، ويعود بسبب كثرة الأوبئة نظرا لفساد الهواء والغذاء والمياه والعلاج لا يكون إلا بالإصلاح هذه العناصر الثلاثة:

فالإصلاح الأهوية يكون بإصلاح هواء البيوت وذلك باستعمال الطيوب الباردة والرياحين والفواكه، 887 ذلك بعد تنظيف من القاذورات وكنسه ثم رشه بالخل والماء الورد أو بماء العدس والخل والطين الأرميني، ويفرش كذلك بالآس والنيلوفر والطرفا، ويبخر بالصندل والعرعر والسنداب وقرن الماعز والعود والميعة واللبان الذكر، ويعلق فيه الياقوت والنارنج والبصل والنعناع والتفاح، وتفتح فيه نافذة للهواء السالم من الوباء، 888 وينصح الأطباء أيضا في أزمنة الوباء بشم الروائح الطيبة مثل الورود والكافور والصندل، 889 ورائحة الطين الأرميني المخنوم بالأسر والأترج والخل ورائحة العنبر والقطران والشمع مع الخام والرياحين.[1]

وعن إصلاح الهواء عموما فقد روى عن العرب الذين يجلبون العبيد والجواري من بلاد السودان أنهم كانوا إذا وقع الطاعون في أرضهم بأنهم يجمعون الحلا والعظام والأطلاف

1 خلف الله شعبان ،الأمراض السارية التي تنتقل الى الانسان من الحيونات ومنتجاتها (الأمراض البكترية)،بيروت،دار الكتب العلمية،(د.ط)،(د.ت)،ص67

والقرون والحطب ويوقدونها على رؤوس الجبال وفي بطون الأودية وينشرون رمادما ويجلسون تحت ريحها ليغيروا ما فسد من الهواء ويستمرون في فعل ذلك هذه أيام الوباء.[1] أما من الجانب الغذائي فيعتبر إصلاحه حسب ما وصفه الأطباء في أزمنة هذا الوباء وهي حمية غذائية للأصحاء والمرضى على حد سواء، بحيث كانوا يأكلون الأغذية المعتدلة المائلة إلى البرودة والجافة كالعدس والفول والبقول والفواكه الباردة والجافة، والإكثار أيضا من أكل خبز الحنطة الجيد الاختصار والمضاف إليه خل عندما يعجن، وكذلك أكل الثوم والرمان المر (الذي يميل بين الحموضة والحلاوة) يساعد في الحد من الأمراض الوبائية.[2]

وتستخدم الرقية كعلاج للحالات المرضية المزمنة والبؤوس من علاجها والعاهات المستديمة وعلاج الصرع والعين والجن، فقد كان ابن مرزوقفي صغره كثير الأمراض بالدماميل والأورام الصعبة وكان يعجز الأطباء عن معالجته بالفصد.[3]

أما طريقة علاج بها فمثال ذلك أن أحمد بن بادريس البجائي كان يداوي مرضاه بالرقية، فقد مر بمصاب ومعه بعض الطلبة فقرأ في أذنه الفاتحة فبرأ، وفي يوم آخر مر الطالب على مصاب فقرأ الفاتحة في أذنه فتكلم الجان معه فقال: هذه الفاتحة وأين قلب أحمد بن إدريس،

1سمية مزدور،المرجع السابق، ص 170.

2نفسه، ص 173.

3خليلي بختة ،الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(1315م) واقعه وآثاره رسالة دكتوراه جامعة اسطمبولي معسكر،2016/2015م ،ص90

دلالة على أن أحمد بن باديس أصبح معروفا في أوساط الجن نظرا لتقواه ووعيه ورقياه الناجعة مدواة مثل هذه الأمراض.[1]

وثمة رقية خاصة ومن يرقاه لا يصيبه الطاعون ولا الجذري ولا برد ولا فالج ولا حكة، كما أنها نافعة كثيرا لوجع الأسنان ووجع الأذنين، حيث يأخذ من ماء المطر ويوضع في إناء وتقرأ عليه الفاتحة سبعين مرة ثم يشرب من ذلك الماء سبعة أيام معروفة عند الرسول.أي بالأحرى بركة الولي وكرامته بدل الدواء المركب الذي يصفه الطبيب للمرضى في إطار عملية التطبيب[2]

إن نمط العلاج عند هؤلاء الأولياء يكون لا محالة ذو طابع ديني، لأن الشفاء هنا يكون بيد الله سبحانه وتعالى، وما كان دور الأولياء إلا سببا في ذلك بفضل تقواهم ووعيهم، فتعددت أساليب وأنماط العلاج عندهم.وبالعودة للحديث عن البيمارستنات فقد عرفت البيمارستانات الإسلامية حالة من التطور مطردة فقد كانت بسيطة في العصر الأموي، ثم توسعت وأضيفت لها بعض مستلزمات خدمات التمريض ورودت بالعقاقير والأطباء البارزين، وساعد على ذلك اهتمام الخلفاء والسلاطين بالعلوم الطبية والرعاية الصحية.

1المرجع السابق،ص97

2 نفسه،ص98

أما عن المارستانات في منطقة المغرب الإسلامي فإن أقدم مارستانات المغرب هو المارستان الذي أنشأه المهدي بن توهرت [1] 485-524هـ / 1092- 1129م ومارستان يعقوب المنصور الموحدي سنة 621هـ/1224م وبذلك يكون قد تأخر ظهور المارستانات في المغرب عن المشرق شأنها شأن المنجزات الحضارية الأخرى كالمدارس، كما يبدو أيضا أن المارستانات المغربية كانت عامة[2]

ذ

1المهدي بن تومرت: داعية عاش في المغرب الأقصى بين نهاية القرن الحادي عشر الميلادي والقرن الثاني عشر،يعتبر مؤسس الدولة الموحدية إختلف المؤرخون في اسمه الحقيقي فحسب ابن خلدون فهو محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصال بن حمزة بن عيس فيما يعتقد آخرون انه محمد بن تومرت بن تيطاوين بن سافلا بن مسيفون بن ايكديس بن خالد:ينظر:ابن خلدون،المقدمة،المصدر السابق،ص810

2أبو زيدونوديع ،تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة،ج1 ،الأهلية للنشر والتوزيع،بيروت،2005، ص19

المبحث الثالث:تأثير الأمراض على الجوانب الحضارية

يرى أبن خلدون أن العمران له تأثير مباشر على الأمراض وإنتشارها فيقول "وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه والفتن ويكثر وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة،وإذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائما فيسرى الفساد إلى مزاجه فإن كان قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصومة بالرئة وإن كان الفساد دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضاعف ،فتكثر الحميات في الأمزجة وتمرض الأبدان وتهلك[1]

وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة كثرة العمران ووفوره آخر الدولة ويرى ابن خلدون أن القفر بين العمران ضروري ليكون تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة الحيوان ويأتي بالهواء الصحيح ولهذا فإن الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها بكثير كمصر بالمشرق وفاس بالمغرب.والله يقدر ما يشاء [2]كما يرجع سبب انحطاط العمران زمن الأمراض و الأوبئة خاصة إذا طال أمد الأوبئة هو فئة الحرفيين في المجال المعماري، فقد تكون يد عاملة ضعيفة في حرفة البناء ربما يكون همها جمع المال دون الاهتمام بالإتقان، كما حدث بفاس عندما حلت المجاعات و الأمراض و اشرف حائط جامع

ابن خلدون،المقدمةالمصدر السابق،ص1377

2تشير بعض الدراسات الحديثة المتعلقة بحياة الإنسان في المدينة والريف،حيث أن متوسط عمر الإنسان في الريف يزيد عن مثله في المدينة كثيراً،وهذا ما يؤكد نظرية ابن خلدون من هذه الناحية،لأن المناخ المدينة المشبع بدخان المصانع والمعامل والسيارات وغيرها غير مناخ الريف النظيف النقي.ينظر:المصدر نفسه،ص390

القرويين على السقوط و الانكفاء،ة و لم يكن لأحد في ذلك الوقت قدرة على بنائه، فبقي كذلك إلى غاية سنة 682هـ/1254م، [1]

انعكست الأمراض على الحياة العامة في بلاد المغرب من خلال هذه النماذج،يمكن القول ان الأمراض التي أدت الى كثرة الوفيات وخاصة كان ضحاياه من العلماءو الأدباء الذين نشطوا الاحة العلمية والثقافية ببلاد المغرب الإسلامي وامتد إشعاعهم الديني والثقافي بين أعرق الحواضر كالقيروان وتلمسان وبجاية وغيرها وهذا أدى إلى تراجع في مجالس العلم المقامة في حضرة السلاطين [2] ،فالموت عندما يكثر في منطقة معينة يفسد الهواء وبالتالي يزد حدة الوباء الذي يؤدي إلى اغلاق الأسواق والدكاكين احترازا من خطر العدوى مما زاد تفاقم محن العوام فتراجع الاستهلاك جراء ارتفاع وتيرة النزيف البشري فالمجاعات كانت دائما ما تعقبها أوبئةالتي بدورها تؤدي الى الفناء،ففي تلمسان ارتفعت الوفيات بسبب سوء التغذية وانتشار الأمراض والأوبئة خاصة لدى العامة [3]، بالإضافة إلى أن كثرة الموتى تعني قلة اليد العاملة في المدينة والريف،وهذا يؤثر سلبياً على انتاج المواد الغذائية فتصبح نادرة مما يولد المجاعة فمثلا كان الطاعون الأعظم بإفريقية مصحوباً بالمجاعة وارتفاعالأسعار. [4]

---

1 المصدرالسابق،ص378

2تلي رفيق ، المرجع السابق،ص 134

3عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق ،ص243

4احمد السعداوي،المرجع السابق.ص123

حظا من حيث الرعاية الصحية،وأقل مؤونة من ما يحتاج إليه الإنسان لتوفير حاجياته الغذائية،يعتبر الموت من الأمور الحتمية في المجتمعات الإنسانية، و تبقى نسبة ارتفاعه أو انخفاضه مرتبطة بمدى تفشي الأمراض و الأوبئة و إمكانية المعالجة منها و مدى تطور الرعاية الصحية في المجتمع.[1] ومن بين مظاهر الموت في بلاد المغرب نماذج من الجدول المبين أدناه:

السنة	الحدث	مصدرها
411هـ/1021م	**اشتد القحط ببلاد المغرب وكثر الفناء**	**ابن ابي زرع الفاسي،ص118**
571هـ/1175م	**انتهى عدد الأموات في كل يوم مائة الى مائة وتسعين شخصا**	**ابن عذارى،البيان المغرب(قسم الموحدين)،ص136**
581هـ/1185م	**وصلت حدة الموت ببجاية الى درجة ان عجز أهل البلد عن تكفين الموتى**	**ابن عذارى،البيان المغرب(قسم الموحدين)،ص181**
631هـ/1234م	**مجاعة بمراكش هلكت أمم لا تحصى**	ابن عذارى،البيان المغرب (قسم الموحدين)،ص326
693هـ/1293م	**الوباء الذي عرفته كل من مصر وإفريقية والمغرب فقد كان يموت في اليوم الكثير ثم يحملون للأغتسال**	**ابن ابي زرع الفاسي،ص384**

1 ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق، ج3،ص100

[1]وربما ابن خلدون رسم لنا صورة قاتمة عن المغرب كله في منتصف المائة الثامنة عقب الطاعون الجارف الذي كانت نتائجه على المنظومة الديمغرافية وخيمة،كانت أقرب منها الى الفناء العام فقد طوى البساط بما عليه على حد تعبيره،فإن المغرب الأوسط قد عرف أيضا بعد هذا الطاعون فراغا سكانيا رهيبا في المدن الكبرى، فقد انقرض أولاد الولي الصالح يوسف بن يحي بن يوسف حفيد التيفرسي،وهم أولادهم في الوباء سنة 750هـ/1349م،وحسبنا في ذلك أيضا ما ذكره ابن حاتمة عن عدد الموتى بتلمسان في اليوم الواحد جراء هذا الوباء والذي قدره بأزيد من 700نسمة،[2]

والذي يكون من دون شك رقما مبالغا فيه إذا ما قارناه بالمعطيات المتوفرة لدينا،ولو بصورة تقريبية كما هو موضح في الجدول التالي:

عدد الموتى في تلمسان في اليوم الواحد جراء الطاعون 749هـ/1348م	عدد الموتى في سنة واحدة	عدد دور تلمسان في ازدهارها فترة ابي تاشفين 718_737هـ/1318_1337	عدد السكان في هذه الفترة على اعتبار أن الكانون الواحد متكون من خمسة افراد
700نسمة	252000نسمة	16الف كانون	80000نسمة

[3]

1سمية مزدور ،المرجع السابق،122

2ابن خلدون،المقدمة،المصدر السابق،ص389

3 سمية مزدور،المرجع السابق،123

ومن خلال الجدول نلاحظ جليا التناقض الصريح بين عدد الموتى بالوباء خلال سنة واحدة،وبين عدد سكان تلمسان زمن استقرارها والذي كان اقل منه بكثير ولهذا فإن الرقم الذي قدمه ابن خاتمة مبالغ فيه،وهو أقرب الى الخيال من الى الواقع.[1]

من خلال هذه النماذج، يمكن القول أن الأمراض التي أدت إلى كثرة الوفيات هي الوبائية منها التي تعقب المجاعات، و التي تحصد الكثير من الأرواح، فالموت عندما يكثر في منطقة معينة يفسد الهواء و بالتالي يزيد من حدة الوباء الذي يؤدي إلى إغلاق الأسواق و الدكاكين احترازا من خطر العدوى مما زاد في تفاقم محن العوام فتراجع الاستهلاك جراء ارتفاع وتيرة النزيف البشري.[2]

وعندما تنتعش الحركة بالمدينة بوجود الدعامة البشرية و تزدهر الحياة فيها تشهد هذه الأخيرة هجرات لخبرات مختلفة، ففي عهد المرابطين استفاد ولاة لأمر من خبرات أهل الأندلس في الصناعة و على نفس السياق سار عليه الموحدون، كما انه بوجود التكاثف السكاني يؤدي إلى تفشي الأوبئة بشكل أكثر و أسرع على غرار المدن التي يقل فيها السكان و بذلك تتأثر الحركة العمرانية بتأثر مختلف الجوانب. الوباء المفرط الذي كان بالعدوة و الأندلس 635هـ/1256م مواطنهم و العرب فيه أكثر أهل البلاد [3]و الهجرة تكون عندما يشتد حال الناس و تشتد المحن ، و يمكن أن يهرب الناس من مناطق عرف فيها أسباب المرض ، وعن الرحلة هذه الأخيرة هجرات لخبرات مختلفة، ففي عهد المرابطين استفاد ولاة لأمر من خبرات

1 المازوني أبو زكريا بن يحي بن موسى بن عيسى ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة،ج2،المكتبة الوطنية بالجزائر،ص 15

2عبد الهادي البياض ،الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس،(ق 5_8هـ/12_14م)،بيروت،دار الطليعة،ط1، 2008م،ص101

[3]شعبان خلف الله،المرجع السابق، ص 255

أهل الأندلس في الصناعة و على نفس السياق سار عليه الموحدون، كما انه بوجود التكاثف السكاني يؤدي إلى تفشي الأوبئة بشكل أكثر و أسرع على غرار المدن التي يقل فيها السكان و بذلك تتأثر الحركة العمرانية بتأثر مختلف الجوانب.[1]

و عند حدوث الأزمات، يقل النسيج السكاني في المدينة، ففي مجاعة تلمسان سنة 698هـ/1299م كان عدد السكان 12 ألف نسمة و بعد تأثير المجاعة و انتشار الوباء المؤدي إلى الموت قل عدد السكان بكثير، كما انه يكثر التشاؤم و الحزن والخوف مما يترتب عليه تفشي العديد من الصفات القبيحة بالمدينة كالاعتداء على ممتلكات الغير و تفشي ظاهرة التسول و غيرها من الصفات غير الحضارية.[2]

فإبن عبد المحتسب يندد بذلك و يأمر بمنح أصحاب الأورام و القروح البشعة ، و من يتعلق مصرانه من جنبه ، و الذي يظهر أنه مقعد و الذين يقرحون أيديهم و يوهمون الناس أن ذلك كله بلاء نزل بهم و هم يكذبون كلف المحتسبون بمحاربة مثل هذه التصرفات التي أستعملها البعض من الناس قصد الإستعطاف و جمع المال دون عناء[3]

لقد أشارت المادة التاريخية إلى تمتع كثير من المدن المغربية بزراعة النباتات المختلفة، فقد تقدمت الزراعة بالمنطقة خلال عهد المرابطين و حتى حكم الناصر الموحدي و زاد الإنتاج

1حمولة فيروز،المتغيرات لتصور المرض وأساليب علاجه،رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة1336_1335هـ 2014_2013م،ص87

2 نفسه،ص88

3الخطابي محمد العربي ،المرجع السابق ، ص 9-11

الزراعي، و شهدت البلاد وفرة في المحصولات، و قد تضافرت عدت عوامل . و لم يجد سكان بلاد المغرب و الأندلس سنة 679هـ/1280م، 683هـ/1284م، 704هـ/1303م، عند هجوم الجراد عليهم بدا من جمعه بغرض الاستهلاك، رغم أن استهلاك الجراد مضر بالصحة فهو ابن زهر يحرق الدم و يعقب آفات كثيرة.[1]

كما انتشرت في أوقات الشدة و الأوبئة ظواهر تبين مدى حاجة الناس للغذاء، فقد كان العامة يقومون ببيع ممتلكاتهم و رهنها مقابل الغذاء، ثم كثرت عملية السلفة بين الناس و كانت الإعارة لا تقتصر على المواد الجاهزة للغذاء، فقد تبين أن الإعارة كانت في المنتوجات التي لم يحن وقت نضجها، و يورد الونشريسي عن ابن محسود عندما سئل عن الزرع اخضر وفول اخضر يحتاج الناس إلى سلفته فقال: ذلك جاهز في وقت الشدة و المجاعة. ، و حدث أن تحول الناس إلى أكل ما هو مذموم و محرم من الحيوانات الضارة و غيرها، فقد عرفت أسعارها ارتفاعا مهولا زمن المحن، و هذا الارتفاع دليل على تزاحم الناس عليه قصد تحصيلها[2]

و من هذه الحيوانات ما رصدها ابن خلدون « فأثمان اللحم درهما، و البيض الواحدة بستة دراهم...»، كما اجبر سكان تلمسان على أكل لحم الحيات التي بلغ سعرها عشرة دراهم، و هذا ما فعله أهل برقة الذين هلك منهم خلق كثير حينما تناولوها بسبب المجاعة، فعاد

1المرجع السابق،ص14

2الخطابي محمد العربي،المرجع السابق،ص13

عليهم سمها، و احدث ضررا كبيرا في الأرواح، كما أكل أهل سجلماسة الكلاب و فعل أهل مدينة قفصة و قسطيلة ذلك فقد ذكرهم المقدسي أن بافريقية مدينتين بهما تباع لحوم الكلاب على القنارات و هما قسطيلية و نفطة، و قد اعتقد أهل المناطق الصحراوية أن أكل الكلاب و الذئاب خلال كوارث ق 6هـ/12م يعد مناعة ضد الأمراض المعدية و الفتاكة التي تتلو القحوط و المجاعات، و يضيف ابن خلدون صورة أخرى توضح مدى تقبل الناس لأكل ما هو سيء عند الشدة فعندما كان الحصار الذي فرضه يوسف بن يعقوب المرينيعلى تلمسان الذي دام ثماني سنوات و ثلاثة أشهر فوقعت الشدة فيبني عبد الواحد حتى أنهم اضطروا إلى أكل الجيف و القطط و الفئران.[1]

قبل أن نشير إلى اثر الأمراض على الجانب الاقتصادي يمكن أن نقدم لمحة وجيزة عن الأحوال الاقتصادية في البلاد، فبل حدوث الأزمات، التي من بينها الأمراض و الأوبئة يعد الازدهار أو الانكماش الاقتصادي الوتر الذي تتحدد فيه حياة الناس في المجتمع، فالاقتصاد له علاقة وثيقة بالأوضاع المعاشية من وفرة أو انعدام ضروريات الحياة، و عندما تنتعش الزراعة و الصناعة و التجارة تكون الرفاهية في المجتمع ما جعل صاحب القرطاس يعبر عن الأوضاع السائدة في العهد المرابطي « و كانت أيامهم أيام دعة و رفاهية و رخاء متصل و عافية... و لم يكن عمل من بلادهم خراج و لا معونة لا تقسيط و لا وظيف من الوظائف المخزنية

1ابن خلدون ، المصدر السابق،المقدمة،ص387

حاشا الزكاة و العشر، و كثرت الخيرات »، إن الرخاء الاقتصادي يمكن لحياة أفضل يمكن من خلالها الاهتمام بمختلف المجالات الأخرى.[1]

و يمكن رصد مقومات الاقتصاد في بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة ما بين القرنين ق5-7هـ/11-13م، و عند نقصها أو انعدامها في بعض الفترات، يمكن ملاحظة آثارها السلبية على المجتمع، و كيف مكن هذا الانكماش الاقتصادي من زيادة الأزمة و اتساع الأمراض و الأوبئة في البلاد.[2] و بارتفاع سلسلة الكوارث الطبيعية ارتفاعا مهولا، أثرت في أسعار المنتوجات الحرفية، و كانت انعكاساتها أعمق في صفوف الحرفيين و الصناع الذين أصبحوا عرضة للنوائب و المجاعات، حيث اندثرت بعض الصنائع بموت إعلامها، و تشردت اسر ارتبط دخلها بالحرف، كما أن الأسواق الدائمة و الحوانيت و الورشات الحرفية تعرضت إلى الكساد و التراجع زمن الأوبئة، مما اثر على انكماش الحرف و تعطيل الحركة التجارية.[3]

تكون إجراءات التخزين هذه فعالة في حالة الإستقرار سياسي نسبي ن و تخل فعاليتها في حالة الإضطربات خاصة مصاحبة لقيام دولة جديدة إذا ساهم الحروب في تفاقم المجاعات و الأبئة إن لم تساهم في خلقها ، مثلما حدث في بجاية 581هـ أثناء حروب الثورة إبن غانية بها سنة 580هـ فلما وقعت الفتنة ببجاية و أنظارها و خف قطينها و عمارها ة ... و ألم

1محمد سيدي موسى،الحياة الأجتماعية والإقتصادية في بجاية من عصر الموحدين الى الاحتلال الاسباني، رسالة دكتوراه،جامعة الجزائر،1430هـ/2009م،ص90

2 نفسه،ص89

3بولقطيب الحسين،المرجع السابق،ص43

بالرعية الحيف ، و نقسمهم البلاء و السيف ، إعتصم من نجا منهم بفتن الجبال والأوكار و إحتمى من ركن منهم في أحياء العرب بالجوار ، فأقفرت من بجاية بسائطها و قلت سادتها و غلب أسعارها .... و المجاعة تشتد و الوباء يزيد حتى عم موتان

و بطرت معيشتها الرصع و عقبان و غنحصر المسلوبون و المخنومون إلى بلد في أمم لا يحصى عديدهم و لا يتادي من أُقتار وليدهم ، وعجز أهل البلد عن تكفين الموتى و عن المساة الأحياء ، فكانوا يصبحون في الغرب و في سكك المدنية رمزا في الأمواتا ، و مثلما حدث خلال المجاعات الناتجة عن الحصار المدن كالمجاعات التى تعرضت لها مراكش مرتين [1]

إضافة إلى كل ما أوردناه هناك أيضا كنتيجة لتفشي الأمراض والأوبئة وهو حدوث الطلاق بين الزوجين في حالة ما إذا مرض أحد الطرفين بمرض الجذام فلم يطق الطرف الأخر عشرته فيطلب الطلاق ،وحسبنا في ذلك ما أورده المازوني في فتوى سئل عنها سعيد العقباني ثم أبو الفضل العقباني، حول رجل تزوج امرأة فظهر به جذام بعد بنائه بها بحوالي ثمانية أعوام هل يحق لها هجره أم لا؟, ونطرا لخطورة المرض وصعوبة تحمل الرائحة فقد أفتى الفقهاء في هذه الحالة بأن يفرق بين الزوجين خاصة إذا كان الجذام متفاحشا به أم اذا لم يكن كذلك فلا توجد ضرورة للتفريق بينهما [2]

1المراكشي،المصدر السابق ، ص282

2 المازوني،المصدر السابق،ج1،ص263



الخاتمة

خاتمة:

إن موضوع الأمراض والأوبئة لدول المغرب الإسلامي موضوع حساس وإجتماعي ويعكس صورة مباشرة عما كان يعانيه العامة من اهل المغرب إبان هذه الأزمات ،فمن خلال دراستنا لهذا الموضوع خرجنا بجملة من الإستنتجات كان أهمها أن تعريف ومصطلح الأمراض والمفاهيم المتعلقة به تقدم تعريفا مشتركا له ولا تختلف هذه التعريفات الى ما وصل إليه العلم الحديث وعن كيفية إنتقال هذه الأمراض والأوبئة من شخص الى اخر أو من الحيوان الى الإنسان.

وقد شهد المغرب الإسلامي بكافه دوله تقريباً موجات من هذه الأمراض والجوائح وإن كانت متفرقة من حيث المكان والزمان فإن معظمها قد أثر وبشكل كبير على الأوضاع السائدة أنذاك،فقد ظهرت أمراض كثيرة نذكر منها على سبيل المثال مرض الجذري والحصبة والطاعون أو ما سمي بالطاعون الجارف والتي أودت بحياة الكثيرين ،بالإضافة الى أمراض أخرى كمرض العيون وداء العضال ومرض السعال امراض المعدة وغيرها من الأمراض، كل هذه الأمراض كانت لها تأثيرات مباشرة على المغاربة ،لكن رغم ذلك قامو بعدة تدابير ومواقف ساهمت في التخفيف من حدة هذه الجوائح،وقد تميز موقف المغاربة من هذه الجوائح بموقف ديني إعتبر هذه الأمور انما عبارة عن مس من الجن أمور شعوذة فقط فيما إتجه فريق أخر الى الصلحاء والأولياء لطلب الدعاء والدعوة وكذا التبرك بهم في معالجة الأمراض،أما المواقف السياسية فقد تميزت بمساهمة السطلة في هذا المجال من خلال فتح دور للوقاية وبناء المارستنات التي اوت الكثير من المرضى وكذلك دور لعزل المرض وخاصة أصحاب الأمراض

المعدية،وبتالي فنشاط الطب والمعالجة للأمراض حظي باهتمام كبير من قبل أهل الإختصاص فقد ألفت كتب كثيرة وتمت ترجمت العديد من المؤلفات الغربية في هذا المجال وذلك لتقديم وصفات وأدوية ناجعة في هذا المجال ومحاولة لإيجاد سبل الوقاية من هذه الأمراض وكذا معرفة أسباب وقوعها لتفاديها،ضف الى ذلك فقد حظي الطب الشعبي باهتمام الكثيرين بحكم أن بعض العوام من الناس لم تحظى بفرصة العلاج في المرستان أو لربما لإيمانهم بالطب الشعبي أكثر وهو الطب الموروث عن العادات والتقاليد الأجداد فقد تم تقديم وصفات علاجية كاستخدام الزيوت والأعشاب الطبيعية وكذا المكملات الغذائية وبعض أنواع الطعام التي تساهم في التخفيف من حدة المرض.

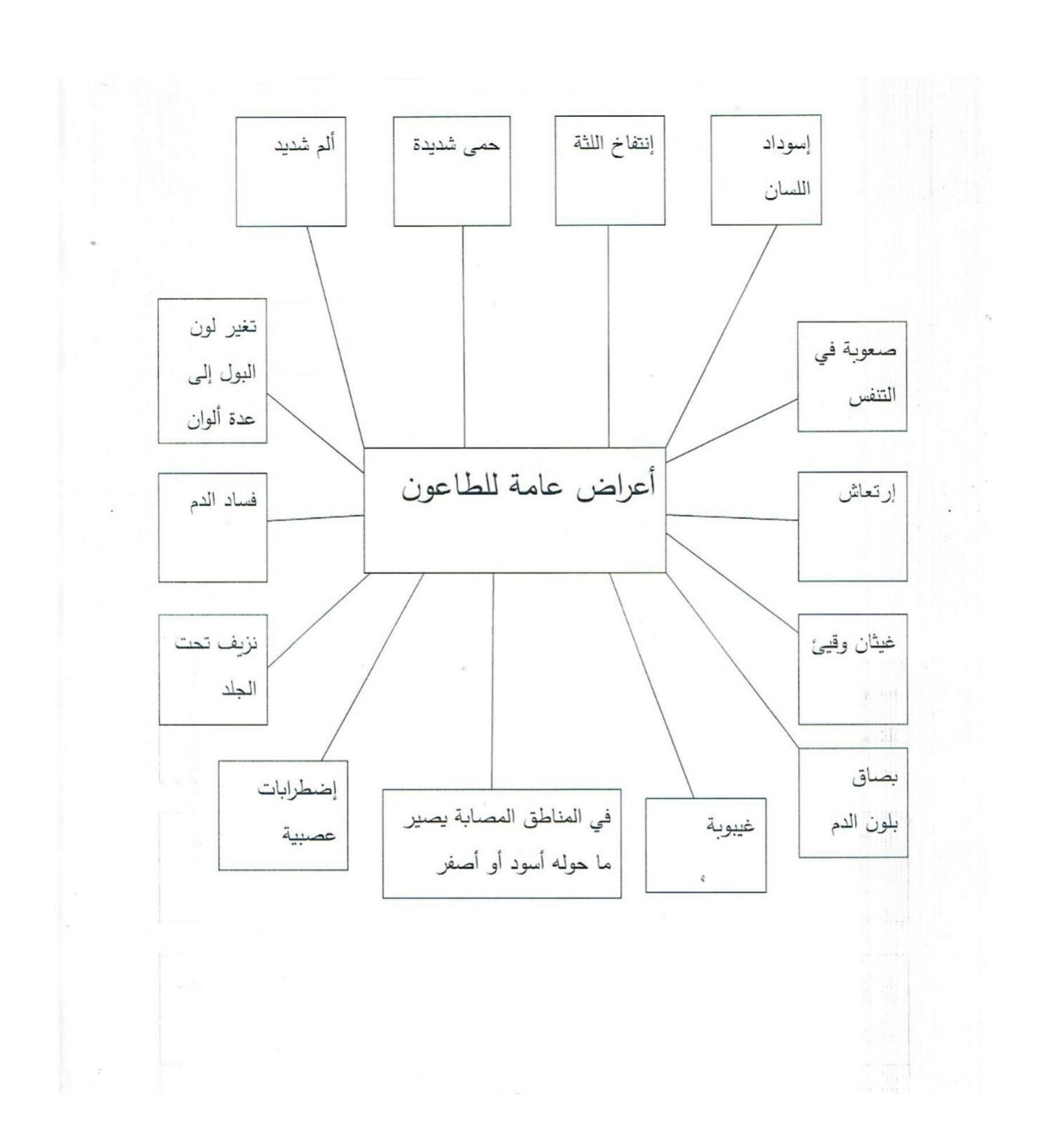
إن جل الامراض والأوبئة التي ظهرت في بلاد المغرب قد أثرت على ديموغرافيا المنطقة بحيث أدت الى تراجع في عدد السكان بسبب كثرة الوفيات وهذا ما أكدته مختلف المصادر والمراجع التي إطلعنا عليها وذلك بتقديم أرقام وإحصائيات وان كانت تقريبية الى أنها أعطتنا صورة واضحة عن هول الكارثة في ذلك العصر،وبتالي فهذه الأزمات قد ساهمت أيضا في تراجع للحرف والصناعات على المستوى الأقتصادي وكذا قلة اليد العاملة بسبب الموت ضف الى ذلك كثرة الهجرة الى المناطق الأكثر أمنا بالإضافة الي إنهيار للمدن والمنشأت الحضارية بسبب كثرة القحط والجفاف إبان هذه الأمراض.

كانت هذه حوصلة تقريبية عامة وشاملة لما إستخلصناه من خلال دراستنا لموضوع الأمراض والأوبئة خلال العصر الوسيط في دول المغرب،ويبقى عملنا هذا محظ إجتهاد ومقدمة لدراسات أخرى مستقبلية أكثر تعمقاً وأكثر معرفة.

الملاحق

ملاحق:

الملحق رقم 1: أعراض عامة لمرض الطاعون



المصدر: عبير بلاطة، المرجع السابق،ص112

الملحق رقم 2: أهم مؤلفات الأطباء في المغرب الإسلامي

اسم الطبيب	مؤلفاته في الطب	المصدر / المرجع
عبد الرحمن بن علي بن أبي دلال	رجز ابن سينا في الطب	الغبريني: **عنوان الدراية**، ص 205.
محمد بن أحمد بن محمد الأموي	له رجز نظم فيه بعض الأدوية المفردة	الغبريني: **عنوان الدراية**، ص 102.
علي بن مؤمن الأنصاري (بن عتيق)	له مصنفات في الطب لم يذكر اسمها	المراكشي: **الذيل والتكملة**، 264/1/5 .
أبو العباس أحمد بن عبد السلام الشريف الحسني المغلي.	تأليف في الطب لم يذكر اسمه	مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ضمن مجموع، رقم 1767.
ابن قنفذ القسنطيني	أنس الحبيب عن عجز الطبيب	ابن قنفذ: **أنس الفقير** ، ص 12.
إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني	قائمة مصطلحات صيدلية مرتبة على حروف المعجم	مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ضمن مجموع رقم: 1777، سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**،1/ 105- 106.
محمد بن يوسف السنوسي	تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض الصنعة الطبية	الزغبي: **أطباء من التاريخ** 327/2، فيلالي: **تلمسان**، 2 / 207
	شرح حديث: المعدة بيت الداء	ابن حمادوش: **لسان المقال**، ص 121. أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، 2 / 433.
	ورجز ابن البنا في الطب	ابن مخلوف: **شجرة النور**، ص 266.

المصدر: سمية مزدور،المرجع السابق،ص225

الملحق رقم :3: أهم النبتات الطبية المتواجدة بمناطق المغرب الاسلامي

اسم النبتة	مكان تواجدها	أهم الأمراض التي تداويها	المصدر
عود السوس ويقال له أيضا: **شجرة الفرس**	بجاية	غير مذكور	ابن الخير الإشبيلي: **عمدة الطبيب**، 597/2
قيصوم (نوع من الرياحين) ومن أهم أنواعه **الأفسنتين**	بجاية	مفيد ضد الأدوية القتالة.	ابن خير: **عمدة الطبيب**، 2 / 702-699.
نوع آخر من **القيصوم** يعرف بالمغرب الأوسط بحبق الشيوخ.	تيهرت	غير مذكور	ابن خير: **عمدة الطبيب**، 2 / 699.
الأفنتيس الساحلي نوع من **القيصوم** أيضا	بجاية وكثير بجبل الصوف	غير مذكور	ابن خير : **عمدة الطبيب**، 2 / 703.
الأسطوخودوس نوع من الشيح يسمى عند أهل تيهرت **بإكليل الجبل** لأنه شبيه به.	تيهرت	غير مذكور	ابن خير: **عمدة الطبيب**، 2 /800- 801.
أنواع من الورود مثل الورد الأكحل عطر الرائحة، وورد صغير يشبه **زهر الماميتا**	تيهرت	غير مذكور	ابن خير: **عمدة الطبيب**، 2 / 826-825.
البطم وهو نوع من **الضرو**	تلمسان ومنابته في الجبال الخصبة والمواضع الظليلة	غير مذكور	ابن خير الإشبيلي: **عمدة الطبيب**، 1 /546.
أميرباريس وهو شجر **البرباريس** وهو نوع من **العوسج** ويعرف بالبربرية بـــ "**ازرغن**"، واسم لحاء أصوله "**ارغيس**"	بجاية	غير مذكور	ابن خير الإشبيلي: **عمدة الطبيب**، 1 / 65.
عرعر	كثير بالمغرب الأوسط من تلمسان إلى المهدية	غير مذكور	ابن خير الإشبيلي: **عمدة الطبيب**، 2 / 563.
فقوص من أنواع القثاء والبطيخ يسمى عند الزناتيين "**إيغسيمن**"	أراضي زناتة	غير مذكور	ابن خير: **عمدة الطبيب**، 2 / 641.
آطربلال إسم بربري لنبتة ومعناها رجل الطائر	المغرب الأوسط وبجاية	تستعمل هذه النبتة لمداواة البهق	ابن البيطار: **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، 1 / 06.
بزر الحشيشة المسماة بـــ **آاطربلال**	المغرب الأوسط وبجاية	يستعمل في علاج البرص بعد أن يضاف	ابن البيطار: **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، 1 /07.

المصدر السابق:ص234

ملاحق:

الملحق رقم :4: أبرز العلماء الذين ماتو بالأمراض والأوبئة في المغرب الاسلامي

اسم وكنية العالم الهالك بالوباء	سنة الوباء الذي هلك فيه	المصدر / المرجع
أبو موسى عيسى بن الإمام التلمساني	طاعون 749 هـ/1348م بتلمسان	ابن مرزوق: المسند، ص 265. ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص48. الونشريسي: الوفيات، 2/653. ابن القاضي: لقط الفرائد، 2/655. التنبكتي: نيل الابتهاج، ص247. المقري: أزهار الرياض، 15/5.ابن مريم: البستان، ص126. نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص23.
أبو عبد الله محمد بن النجار التلمساني	طاعون 749هـ/1348م بإفريقية	ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص 192. ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص59. الونشريسي: الوفيات،2/ 649. ابن القاضي: درة الحجال، ص 265. نفسه: جذوة الاقتباس، 302/1.نفسه: لقط الفرائد، 2/ 650. ابن مريم: البستان، ص153- 154.
أبو عبد الله محمد بن عبد النور الندرومي	طاعون 749هـ/1348م بتونس.	ابن مرزوق: المسند، ص 267.- ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص58.- الونشريسي: الوفيات ، 2/ 649. ابن القاضي: درة الحجال، ص 202. – نفسه: لقط الفرائد، 2/ 650. التنبكتي: نيل الابتهاج، ص 405.- المقري: أزهار الرياض 5/ 50. نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص330.
حسن بن علي بن الخطيب ,والد ابن قنفذ	طاعون سنة 750هـ/1349م بقسنطينة.	ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، ص87. نفسه: الوفيات، ص355- 356.
أبو عبد الله الصفار القسنطيني	طاعون 750هـ/1349م بقسنطينة.	ابن قنفذ: الوفيات، ص355- 356.ابن القاضي: لقط الفرائد، 2 / 655.
محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني	توفي بمكناسة في طاعون سنة 818هـ/1415م.	التنبكتي: نيل الابتهاج، ص 498.ابن مريم: البستان، ص 264.نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص 80.
أحمد بن محمد بن عبد الرحمان المعروف بابن زاغو المغراوي التلمساني	وباء سنة 845هـ/1441م بتلمسان.	القلصادي: رحلة القلصادي، ص106-105. الونشريسي: الوفيات، 2/755-751. ابن الأحمر: زبدة التاريخ، 3 / 71 أ. ابن القاضي: لقط الفرائد، 2 /755.التنبكتي: نيل الابتهاج،

المصدر: عبير بلاطة،المرجع السابق، ص113

قائمة الصادر والمراجع

المصادر :

1-ابن الحاج التلمساني أبو عبد الله محمد ،**المدخل**،ط2،بيروت،دار الكتاب اللبناني،1972م،

2-ابن الخطيب لسان الدين**الإحاطة في أخبار غرناطة** ،تح محمد عبد الله عنان، ج 1،ط2، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1973م.

________**مقنعة السائل عن المرض الهائل**،تح حياة قارة،دار الأمان،الرباط،ط1، 2015م،

3- ابن الزيات التادلي ابي يعقوب يوسف بن يحي، **التشوف الى رجال التصوف وأخبار ابي العباس**

4-ابن خلدون ،**المقدمة**،تح،محمد عبد الله الدرويش،دمشق،دار يعرب،(د.ط)،1425هـ/2004م،

5-ابن زهر عبد الملك بن ابي العلاء، **التيسير في المدواةوالتدبير** ،تح ميشيل الخوري،تقديم محي الدين صابر،دمشق،منشورات المنظمة العربية والثقافة،دار الفكر،1403هـ/1983م .

6-________**كتاب الأغذية** ،مدريد،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية مجلس التعاون مع العالم العربي،(د.ط)،1992م .

7-ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،ج1،تح، كولان وليفي بروفنسال،ط3،بيروت،دار الثقافة،1983م.

8-ابن منظور،**لسانالعرب**،تح عامر أحمد حيدر،بيروت،دار الكتب العلمية،ط2، 2009مج11،

9-أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني ، **الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**،تح رابح بونار،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1971م.

10-أبو زكريا بن يحي بن موسى بن عيسىالمازوني ، **الدرر المكنونة في نوازلمازونة** ،ج2،المكتبة الوطنية بالجزائر.

11-ابي الحسن بن علي بن سينا، **القانون في الطب** ،بيروت ،دار الكتب العلمية،ج 1،ط1، 1420هـ1999م،.

12-الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف افريقيا** ،تج،محمد حجي وآخرون،دار الغرب الإسلاميبيروت،لبنان،ط2، 1983م.

13شمس الدين السخاوي **الضوء اللامع** لأهل القرن التاسع،بيروت،دار الجيل ،1992م مج7،

14-مارمول كربخال،**إفريقيا**،تج محمد حجي آخرون،الرباط،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع(د.ط)1404هـ/1984م.

15-محمد بن عبد الله الحموديالإدريسي (ت 560هـ/1164م):**المغرب العربي، من كتاب نزهةالمشتاق في اختراق الآفاق**، ج1، حققه و نقله إلى الفرنسية، محمد بلحاج صادق، المؤسسة العامة للنشر والإشهار، حيدرة، الجزائر، 1983.

16داوود عمر الأنطاكي **بغية المحتاج في المجرب من العلاج** ، دار الفكر للطباعة النشر التوزيع،1995م،

17ابن قيم الجوزية ،**الطب النبوي** ،تج،عبد الغني عبد الخالق،دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع،بيروت

18الجوهري ابن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، دار الحديث، القاهرة،2009م ،

19 احمد بن يحي التلمسانيالونشريسي،**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيةوالمغرب**،تح:محمد الحجي واخرون،دار الغرب الإسلامي،بيروت،(د.ت)،،ج11

الـمراجع :

1- أبو زيدونوديع ، **تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة في قرطبة** ،ج1،الأهلية للنشر والتوزيع،بيروت،2005،

2- البزازمحمد الأمين ، **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب، المطبعة النجاح** ،الدار البيضاء،1992م،

3-البكري تامر ياسر ،**تسويق الخدمات الصحية**،دار اليازورالعليمة،الأردن،(د.ط)،2005م،

4 -البياض عبد الهادي، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس**،(ق 5_8هـ/12_14م)،بيروت،دار الطليعة،ط1، 2008م،

5- جلاب حسن ، **مراكش مباحث في التاريخ والحضارة** ،مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية(د.ط)(د،ت).

6-جوهري المصري طنطاوي ، **الجواهر في تفسير القران الكريم** ،تح:محمد عبد السلام،بيروت،دار الكتب العلمية ،(د.ط)،(د.ت).

7-حسين أسكان ،**المجاعات والأوبئة بين الآفات السماوية والجائحة الإنسانية خلال العصر الوسيط شمالالمغرب**،(د.ط)،دار المنظومة الجديدة،2002م،

8- الحسينبولقطيب ،**جوائح وأوبئة المغرب عهد الموحدين**،الدارالبيضاء،منشورات الزمن،(د.ط)

9-حسين كامل محمد ، **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب** ،منتدى سور أزبكية(د.ط)(د.ت).

10-حقي محمد ، **الموقف من المرض في المغرب والأندلس في العصر الوسيط**،مطبعةمانبال،ط2007م

11-خلف اللهشعبان ، **الأمراض السارية التي تنتقل الى الانسان من الحيونات ومنتجاتها (الأمراضالبكترية)**،بيروت،دار الكتب العلمية،(د.ط)،(د.ت)،

12-روجي الهادي ، **الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10م الى القرن 12م**، تج،حمادي الساحلي بيروت ،دار الغرب الإسلامي،ج1،ط1،

13- السرجانيراغب ،**قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية،القاهرة** ، مؤسسة إقرا للنشر والتوزيع والترجمة،ط1، 1432هـ/2009م،

14-السعداوي احمد ،**المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته القرنين8 9**هـ،(د.ط) 1995م.

15-سيدي موسمحمد ، **الحياة الأجتماعية والإقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني**، رسالة دكتوراه،جامعة الجزائر،1430هـ/2009م،

16- فيلالي عبد العزيز ،**تلمسان في العهد الزياني**،موفم للنشر،(د.ط)،2002م ،

17- محمد السيد عبد الباسط ، **أساسيات التداوي بالأعشاب والطب النبوي دعوة للتقنين العلمي لأعشابالطب النبوي والتراث العربي**،ط2، دار نويار،القاهرة،مصر،2003،

18-محمد العربي الخطابي، **الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية** ،بيروت،دار الغرب الإسلامي،(د.ط)(د.ت)،

19- محمد كنعان احمد ،**الموسوعة الطبية الفقهية**،تح، محمد هيثم الخياط،بيروت،دار النقاش(د.ط)،

20- محمد ياسر الهلالي، **أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال أواخر العصر الوسيط**،الجمعية المغربية للبحث التاريخي،كلية الآداب،2002م،

21-مصطفى عبد الفتاح ، **تاريخ الطب حتى نهاية الحضارة الإسلامية وأثره في الحضارة الأوربية**، تح شحاتة أحمد،الإسكندرية،(د.ط)،

22- النجارعامر ،**في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية**،دار المعارف،ط3، 1993م.

23-يوسف جودة عبد الكريم ،**الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين**،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،الجزائر،(د.ت).

24محمود الحاج قاسم محمد، **البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي** ،دارماشكي للطباعة والنشر والتوزيع،العراق، 2020م

25محمد المواق ومحمد الرصاع،**الأجوبة التونسية عن الأسئلة الغرناطية**،تح،محمد حسن، ط1،دار المدار

الإسلامي،2007م،

المذكرات:

1-حليلي بختة ،**الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين** (1315م)
واقعه وآثاره رسالة دكتوراه جامعة اسطمبولي معسكر،2016/2015م،

2- أمينة لطرش ، **الأعشاب الطبية ممارسات وتصورات مقاربة انتروبولجية** ، رسالة
ماجيستير،جامعة منتوري قسنطينة،20

4-رابح أولاد ضياف، **نشأة وتطور الخدمة الطبية في المستشفيات الإسلامية من العهد النبوي الى** القرن7هـ،حوليات جامعة قالمة للعلوم الإنسانية والإجتماعية،قسم التاريخ وعلم الأثار،العدد 9،
2014م،.

5- مزدور سمية،**الأمراض والأوبئة في المغرب الأوسط(927_588هـ/1192_1520م)**،
مذكرة ماجيستير، جامعة منتوري،1429_1430هـ/2008_2009م،

6-حنان بن ناصر، وفاء مزغني، **الطب والصيدلة في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط** ،مذكرة
لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الوسيط والحديث، جامعة حمة لخضر ،الوادي،
لخضر،الوادي،1437 -1438هـ/2016 -2017م ،

7-حمولة فيروز، **المتغيرات لتصور المرض وأساليب علاجه** ،رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر
بسكرة 1336_1335هـ 2013_2014م،

8شامي يمينة ، **الفقر والفقراء بمالغرب الأوسط خلال العصر الوسيط دراسة سوسيو اقتصادية**

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر اختصاص تاريخ وسيط،جامعة محمد بوضياف المسيلة،السنة

الجامعية 2016/2015م،

9عبير بلاطة ، **الطاعون الجارف وتأثيره الذهني والديموغرافي على انسان بلاد المغرب الإسلامي**،مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط،اشراف عبد الغني حروز،جامعة محمد بوضياف المسيلة،2020/2019م،

المقالات:

1شخومسعدي،**منظومة العلاج في المعرفة الصحية بتلمسان الوسيطية** ، مجلة الجزائرية للبحوث والدراسات، التاريخية المتوسطية،العدد2، 2021م،

2-بوتشيش امينة،**نظرية علم الأمراض وأساليب التشخيص عند الأطباء المسلمين**،المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية،العدد2، 2015م،

3-بكاي عبد المالك، **النظرة الى المرض في المغرب الإسلامي خلال القرن**

5_10هـ/11_16م، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية،العدد6، 2021م،

4-بن حمادة سعيد ، **الصحة العقلية والنفسية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط** ،مجلة الدراسات والأبحاث،العدد3.

5بوكرابيلة زهرة وفطيمة مطهري ، **الأمراض والأوبئة في الأندلس وطرق علاجها** ، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية العد2021،2م

6تلي رفيق ،**المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبد العصور**، المركز الديمقراطي العربي للدرسات الإستراتجية والسياسيّة 2001م،

7بقرار منير ، **أثر الطاعون الأسود على الوضع الديمغرافي والإقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي**، مجلة أفاق فكرية،العدد2،ص28



فهرس الموضوعات:

فهرس الموضوعات